فضيلة الحكمة

مظاهرها وكيف نقتنيها

مقدمة

فضيلة الحكمة من أهم وأعظم الفضائل ، بل يمكن أن نضعها في المركز الأول من الفضائل ،فلا تستطيع أي فضيلة أخرى الاستغناء عنها .

فضيلة الحكمة هي الحافظة للمواهب .وبدونها لا قيمة لفضيلة.

الفضيلة التي تخلو من الحكمة والإفراز في تنفيذها غالباً ما تؤدي بالضرر على صاحبها .

فضيلة الحكمة هامة مع كل الفضائل ولإتمام أي عمل على أكمل وجه وأفضل ما يمكن، كما أنها هامة في علاقاتي بالله وبالناس وحتى مع نفسي وفى كل شيء .

ولأن الحكمة هي الله نفسه ، والسيد المسيح هو اقنوم الحكمة .لذلك فلا غنى عنها لكل البشر في كل تصرفاتهم ومواقفهم .

من الأهمية أن يكون للإنسان حكمة ومعرفة وفهم في كل حياته مع الله ومع الناس .

لا غنى عن فضيلة الحكمة للحكام والسياسيين كما للعامة والبسطاء . جميع الناس في كل أمور حياتهم يحتاجون إلى

الحكمة، سواء في حياتهم الروحية أو المادية أو حتى في أمورهم العائلية والاجتماعية.

الحكمة هي نور داخلي ينير العقل والقلب كما أنها نور خارجي ينير للآخرين طريقهم.

ولأهمية الحكمة كفضيلة فقد أفرد لها الكتاب المقدس سفراً خاصاً يحمل اسمها هو سفر الحكمة .

ولأن الحكمة هي المسيح كلمة الله . . .لذلك ينسب إليها الخلق و المعرفة و الوجود .

فضيلة الحكمة يمكن تعريفها على أنها التمييز بين الأمور المتخالفة. وهي الإفراز بين الجيد والرديء.

فأنه حتى وإن كانت المحبة أعظم شيء، إلا أنه لكي يحب الإنسان الله والناس محبة حقيقية لابد أن يكون ذلك بمعرفة وحكمة.

المتاعب الصغيرة تنتج عن الجهل, و الكبيرة عن التعمَّد و التبجح, و في الحكمة يكمن علاج لكليهما, و الذي يبحث عن سر العناء الشخصي و العام سيجده في فقدان الحكمة أو التخلي عنها . .

فضيلة الحكمة علاج لكل داء لذلك كانوا يسمون الطبيب حكيمًا .بحكمة يعرف نوع المرض، ونوع العلاج النافع.

الحكمة الحقيقية هي سلاحنا أمام الزمن بكل ما يحمله من مسرات ومتاعب .

العقل هو الملك الرقيب على الحواس والأفكار، والإفراز هو الحكمة الروحية والرأي السديد الصائب الذي يتعلمه الإنسان من علاقته بالله والكتاب المقدس كما يتعلمه من كثرة المشورة وسؤال العقلاء والحكماء الروحانيين والشيوخ المختبرين.

ولأن المتنيح قداسة البابا شنودة قد كان مثلنا الأعلى في الحكمة وأفضل من كتب عنها فسوف نقتبس من كتاباته الكثير في موضوعنا عن الحكمة .

الله نفسه هو الحكمة وهو مصدرها ،كما أنه يطالبنا بالحكمة . ما أجمل كلمات الكتاب المقدس الذي نعت بها فضيلة الحكمة .

فما هي بركات الحكمة وكيف نحصل عليها ؟!

هذا ما سوف نبحثه سوياً في أبواب هذا الكتيب المتواضع عن فضيلة الحكمة التي تحتاج إلى مجلدات لكي نستوفيها حقها .

الله قادر أن يعطينا فهماً وحكمة في كل أمور حياتنا وذلك بشفاعة سيدتنا وملكتنا كلنا العذراء القديسة مريم ورؤساء الملائكة الأطهار والشهيد العظيم أبي سيفين والقديس العظيم الأنبا أبرآم وكافة الملائكة والشهداء والقديسين .

أبرآم

أسقف الفيوم

ورئيس دير الملاك العامر بجبل النقلون

عظمة الحكمة

الحكمة هي السيد المسيح نفسه

السيد المسيح هو" قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ " (1كو1:24) ، " الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرّاً وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. " (1كو1:30) ، وأَنَّه " المدخر فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ. " (كو2:3) .

السيد المسيح هو اقنوم الحكمة،هو نطق الله العاقل وعقل الله الناطق،

و هو حكمة الله الذي به كان كل شيء والذي قال عنه سليمان الحكيم في أمثاله " بالحكمة أُسست الأرض "(أم 19:3) .

في سفر الحكمة يتكلم عن السيد المسيح اقنوم الحكمة قائلاً " " يا إِلهَ الآباءِ ويا رَبَّ الرَّحمَة يا صانع كُلِّ شيءٍ بكَلِمَتِكَ ومُكَوِّنَ الإِنْسانِ بِحِكمَتِكَ لِكَي يَسودَ الخَلائِقَ الَّتي صَنَعتَها . (حك 9 : 1)

وفي نفس السفر " إنَّ مَعكَ الحِكمةَ العَليمةَ بأَعمالِكَ والَّتي كانَت حاضِرة حينَ صَنعتَ العالَم وهي عارِفةٌ ما المَرضِيُّ في عَينَيكَ والمُستَقيمُ بِحَسَبِ وَصاياكَ . (9 : 9) .

وفي موضع آخر من السفر يصلي الحكيم قائلاً" " . . . . هَبْ لِيَ الحِكمةَ الجالِسَةَ مَعَكَ إلى عَرشِكَ.(9 : 1 – 4) .

والحكيم يشوع بن سيراخ يقول " ينبوع الحكمة كلمة الله في العلى " (سيراخ 1 :)

اللآلىء وكل الجواهر لا تساويها

ما أجمل العبارات التي قيلت عن الحكمة في سفر الأمثال ومنها على سبيل المثال لا الحصر " الحكمة خير من اللآلئ و كل الجواهر لا تساويها . . إن طلبتها كالفضة و بحثت عنها كالكنوز "(أم 8 : 11)، (أم 2 : 4)،" قنية الحكمة كم هي خير من الذهب و قنية الفهم تختار على الفضة (أم 16 : 16)

وفي سفر أيوب يقول الوحي المقدس" تحصيل الحكمة خير من اللآلئ " (أي 28 : 18) .

وفي سفر الجامعة نجد المكتوب"الحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل لناظري الشمس " (جا 7 : 11) .

الحكمة لها قيمة وبركة كبيرة جداً في نظر الله ،بالإضافة إلى الفائدة والبركة التي تعود على صاحبها نفسه نتيجة لحكمته .

يُقارن الحكيم بين الحكمة وما تجلبه من مكاسب وبين المشاريع الزمنية وما تجلبه من غنى، مؤكدًا أن الجواهر الثمينة وكنوز الأرض لا تُقارن بالحكمة الإلهية الحقيقية. فالأولى زمنية مؤقتة وأما الثانية فأبدية. الأولى هي تمتع ببعض العطايا أما الثانية فهي اقتناء واهب العطايا وخالق الكل.

الذي يقتني الحكمة أفضل من الذي يقتني الذهب ،وذلك لأن الذهب يمكن سرقته وضياعه ،ويمكن أن يضر صاحبه روحياً بأن يجعله

طماعاً أو محباً للمال ،كذلك يمكن للذهب أو المال أن يصل بصاحبه لعداء الآخرين أو الاعتداء عليه بالسرقة أو بالطمع والحسد .

أما الذي يحب الحكمة ويقتنيها لا يمكن لمحبة العالم أن تدخل إلى قلبه ،ولن يكون معرضاً للسرقة أو الاعتداء عليه لأنه سيكون محبوباً من الجميع .

الإنسان الحكيم عنده الحكمة أفضل من الميراث ،لأنه يرى الأمور على حقيقتها ،عكس ذلك الذي يعيش في أحلام اليقظة ،مثل هذا الإنسان لن يستطيع أن يشعر بقيمة الحكمة أو بركاتها .

ولأن الحكمة أهم من كل كنوز الأرض لذلك علينا أن نبحث ونفتش عن الحكمة في اجتهاد غير منقطع النظير ورغبة متقدة وصبر عظيم.

خير من القوة والجبروت

مكتوب في سفر الحكمة "الحكمة خير من القوة، والحكيم أفضل من الجبار"(الحكمة4.1:6)

ومكتوب أيضاً في سفر الجامعة "الحكمة خير من القوة " (جا 9 : 16) ، و"الحكمة تقوي الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة (جا 7 : 19) .

معنى ذلك أن الشخص الحكيم أقوى من عشرة متسلطين يحكمون عشرة مدن .

ولنا في سليمان الحكيم خير قدوة ومثلاً، نقرأ عنه في الكتاب المقدس كيف مدحه الله لأنه لم يطلب شيئاً غير الحكمة. ونتيجة لطلبه الحكمة منحه الله كل شيء .

وبسبب حكمته التي وهبها له الله كان عصره يملؤه السلام بعيداً عن استخدام القوة والجبروت .ولقدعاش في مجد كل أيام حياته وبنى هيكل الله العظيم في أورشليم المعروف باسمه، وذاع صيته في الحكمة والمعرفة حتى أن ملوك الأمم الذين حوله كانوا يأتون ليسمعوا حكمته كما ذكر رب المجد يسوع المسيح أيضا قائلا " ملكة سبأ جاءت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان 1مل10 ، مت 42:12 ، لو

31:11) ،كما يقول الكتاب أيضا " وكانت كل الأرض ملتمسه وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه " 1مل 24:10) .

الحكمة وصية مقدسة الله يطلبها ويمدحها

السيد المسيح له المجد عندما أرسل تلاميذه للخدمة والكرازة طلب منهم قائلاً ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات و بسطاء كالحمام (مت 10 : 16)

السيد المسيح يطلب منا أن نكون بسطاء ، نحب الكل حتى أعدائنا ،ولكن قبل ذلك يجب علينا أن نكون حكماء .

حكماء كالحيات ليس معناها أن نكون جبناء، وذلك لأن الحيات تهرب بمجرد سماع أي صوت وهذه طريقة للدفاع عن أنفسهم.عكس الحشرات التي تقف في الشارع تنتظر من يدوس عليها بغير حكمة.

لم يكن هروب يوسف من أمام الخطيئة جبناً بل كان فيه حكمة.

كما مدح السيد المسيح وكيل الظلم موضحاً سبب مدحه إياه " إذ بحكمة فعل" (لو 16 : 8)،وهكذا مدح العذاري اللواتي كنا حكيمات (مت 20) .

وهكذا أيضا أعطى الرب البركة والسعادة لتلاميذه قائلاً (طوبى لعيونكم لأنها تبصر" (مت 16:13) .والمقصود بالبصر هنا الحكمة أو البصيرة الداخلية.

ويؤكد القديس بولس الرسول الوصية السابقة عندما " أريد أن تكونوا حكماء للخير و بسطاء للشر " (رو 16 : 19)

والرب يطالبنا بالحكمة في سفر الأمثال قائلاً (لتأخذ معرفة حكمة وأدب ولتدرك أقوال الفهم000 ولتعطيك ذكاء ومعرفة وتدبراً (أم 22:1–4) .

ويطوبها" طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة و للرجل الذي ينال الفهم (أم 3 : 13) .

ونجده يطلبها كذلك عندما يقول "اقتن الحكمة ، اقتن الفهم000 لا تتركها فتحفظك أحبها فتصونك000 اقتن الحكمة وبكل مقتناك اقتن الفهم " (أم 4:5-7) .

أقدر وأعظم جميع الفضائل

يذكر لنا بستان الرهبان القصة التالية:

اجتمع جماعة من الآباء عند القديس الأنبا أنطونيوس وتباحثوا في أي الفضائل أكمل وأقدر على حفظ الإنسان من جميع مصائد العدو؟

فمنهم من قال أن الصوم والسهر في الصلاة يقوّمان الفكر ويلطفان العقل ويسهلان للإنسان سبيل التقرب إلى الله، ومنهم من قال أنه بالمسكنة والزهد في الأمور الأرضية يمكن للعقل أن يكون هادئًا صافيًا خالصًا من هموم العالم فيتيسر له التقرب إلى الله، وآخرون قالوا إن فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل لأن الرب يقول لأصحابها كما وعد تعالوا إلى يا مباركي أبى رثوا المُلك المُعد لكم قبل تأسيس العالم.

وبعد انتهاء كلامهم قال الأنبا أنطونيوس: حقاً إن كل الفضائل التي ذكرتموها نافعة ويحتاج إليها كل الذين يطلبون الله ويريدون التقرب إليه، إلا أننا رأينا كثيرين أهلكوا أجسادهم بكثرة الصوم والسهر والإنفراد في البراري والزهد، حتى أنهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدقون بكل ما يمتلكون ومع ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وعدموا جميع هذه الفضائل وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا الإفراز.

ومكتوب عنها أيضاً:

"الحكمة أبهى من الشمس و أسمى من كل مركز للنجوم و إذا قيست بالنور تقدمت عليه ،لان النور يعقبه الليل ،أما الحكمة فلا يغلبها الشر (الحكمة 7 : 29).

،"حينئذ تمنيت فأوتيت الفطنة ودعوت فحل على روحٍ الحكمة ففضلتها على الصولجان والعروش ولم أحسب الغنى شيئاً بالقياس إليها" (حكمة9.7:7).

"هي صاحبة أسرار علم الله أي شيء أغنى من الحكمة صانعة الجميع فمن أحكم منها في هندسة الأكوان"(حكمة8.4:8)

"لأن الحكمة أسرع حركة من كل متحرك فهي لطهارتها تلج وتنفذ في كل شيء" (حكمة30.24:7)

" الحكمة تعلم وتفهم كل شيء "(حكمة 11:9)

بركات الحكمة

بالحكمة يبنى البيت وبالفهم يثبت

يقول الحكيم في أمثاله" ب(أم 24يبنى البيت و بالفهم يثبت " (أم 24 : 3) .

فالذي يريد أن يحافظ على بيته الروحي أو المادي مبنياً ومتيناً يجب عليه أن يضع أساس الحكمة أمام عينيه دائماً .

كثير من البيوت والعائلات تنهار نتيجة عدم وجود الحكمة ،ربما تكون وصلت المشاكل بينهم لمراحل قاسية ،ولكن عندما نبحث عن أساس المشاكل نجدها أشياء بسيطة ،ولو كان فيه حكمة من الزوج ،أو من الزوجة ،أو من الأهل لكانت كل الأمور مرت بسلام من البداية .

كل المشاكل سواء في البيوت أو في أي مجال آخر تبدأ بسيطة ولعدم وجود حكمة نجدها تتطور حتى إنه يمكن أن تصل لمرحلة الشتيمة

والضرب ،وربما للمحاكم والقطيعة النهائية ،ورغم بساطة المشكلة في بدايتها ولكنها يمكن أن تصل لطريق مسدود ولو وجدت الحكمة من البداية لما تطورت المشاكل وكان الجميع يعيشون في هدوء وسلام .

في سلطان المرأة أن تبني بيتها وفي سلطانها أن تهدمه؛ ليس بجمال الجسد ولا بالإمكانيات المادية تُقيم المرأة بيتها، وإنما بالحكمة، كما بالجهالة والحماقة تهدمه. إن حملتْ مسيحها – حكمة الله – في داخلها إنما تجتذب رجلها وأولادها إليه، وينمو بيتها كنيسة مقدسة متهللة، أما إن سلكت خارج المسيح، وعاشت لأجل ملذات العالم، فتحدر بيتها إلى الهاوية.

الحكمة تمنحنا الحفظ والنصرة والنجاة

يقول لنا الكتاب المقدس بكل وضوح:"إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك، فاعرف إن العقل يحفظك والفهم ينصرك من كل شرير "(أم 2:10–12) .

كما يقول أيضاً ""في فم الجاهل قضيب لكبريائه، أما شفاه الحكماء فتحفظهم" (أم 14 : 3)

وكذلك أيضاً " السالك بحكمة هو ينجو " (أم 28 : 26)

فالحكمة هي تقديس القلب والعقل والحواس، فتحفظ المؤمن من الشهوات الجسدية والإغراءات الزمنية، فيتجاوب الجسد والنفس معًا مع عمل روح الله القدوس.

وإذ تملك الحكمة على القلب وتسيطر على العقل تحفظهما ضد كل فسادٍ داخلي أو خارجي. تسحب عنا كل رغبة أو ميل نحو طريق الظلمة، إذ ندرك أن هذا الطريق غير مريح ولا آمن.

فعندما تدخل الحكمة إلى قلوبنا، وتصير موضوع لذتنا، لا ننخدع سريعًا، بل نصير حذرين، قادرين على تجنب الصحبة الشريرة وعدم مشاركتهم في سلوكهم الشرير. بمعنى آخر تقودنا الحكمة بعيدًا عن طريق الأشرار وتحفظنا من عالمهم وإغراءاتهم.

إذ نحب الحكمة الإلهية ننعم بالعقل أو التمييز الذي يحفظ المؤمن بكليته، ويجعله قادرًا على أخذ قرارات حكيمة تنقذه من حبائل الأشرار. هكذا يتمتع المؤمن بحياة مصونة من كل جوانبها، هاربًا من الفساد الذي في العالم خلال الشهوة .

الحكمة كذلك تنجينا من الهلاك والضلال والله يقول (هلك شعبي بسبب عدم المعرفة)، والرب يسوع المسيح نفسه يقول (تضلون إذ لا تعرفون الكتب) .

وفي هذا يقول القديس أكليمندس السكندري " الحكمة الإلهية هي مجن لأُناس الله الذين يسلكون باستقامة، أو معين لهم لنوال النصرة. فإننا إذ نتمسك بالحكمة ونحفظها، تتمسك هي بنا وتحفظنا " .

لا يمكننا أن ننسى كيف أنقذت الحكمة أبيجايل وبيتها من موت وهلاك حقيقيي تلك التي قال لها داود النبي " و مبارك عقلكِ و مباركة انتِ لأنك منعتني اليوم من إتيان الدماء و انتقام يدي لنفسي (1صم 25 : 33) .

تعطي الرفعة والمجد

سليمان الحكيم يقول عن الحكمة "ارفعها فتُعليك، تمجدك إذا اعتنقتها" (أم 4 : 8–9) .

و الحكيم بن سيراخ يقول "العبد الحكيم يخدمه الأحرار " (سيراخ 10: 28) .

عندما نرفع الحكمة ونقوّيها فينا، إذ تحوط بها الفضائل من كل جانب، فترفعنا الحكمة وتقوينا . ترفعنا في عينيْ الله كما في أعين السمائيين والأرضيين، حتى الشياطين تهابنا، إذ نحن مختفون في المسيح، الحكمة الحقيقية.

ولنا مثلاً في دانيال النبي والفتية الثلاثة كيف كانت حكمتهم المقترنة بمخافة الله سبباً في رفعتهم ومجدهم ،هؤلاء الذين قُيل عنهم" أما هؤلاء الفتيان الأربعة فأعطاهم الله معرفة و عقلا في كل كتابة و حكمة و كان دانيال فهيما بكل الرؤى و الأحلام (دا 1 : 17)

إكليل نعمة وتاج جمال

"تُعطي رأسك إكليل نعمة،

تاج جمال تمنحك" (أم 4: 9) .

تُقيم الحكمة من المؤمن أميرًا أو ملكًا يحمل على رأسه تاج نعمة وشركة مجد، فيترنم قائلًا: "جعلنا ملوكًا وكهنة لله أبيه" (رؤ1:8)، أو يُقيم من النفس ملكة مُتوَّجة بالمجد والجمال السماوي الفائق.

الحكمة تحفظ الفضائل .

فضيلة الحكمة والافراز تحافظ على حياة الإنسان الروحية من الضربة اليمينية (التطرف اليميني) "لا تكن بارًا كثيرًا ولا تكن حكيمًا بزيادة. لماذا تخرب نفسك" (جا7: 16) .

وكذلك من الضربة الشمالية (التطرف اليساري) "لا تكن شريرًا كثيرًا ولا تكن جاهلًا . لماذا تموت في غير وقتك" (جا7: 17) .

لذلك صار الإفراز بين الفضائل مثل القائد بين العسكر، فالجنود إذا لم يكن لهم قائد يقودهم ويدبرهم ينهزمون ويهلكون كذلك الفضائل إذا لم يكن فيها إفراز تهلك وتباد .

الإفراز (الحكمة) يدبر كل وصية تُنفذ ويصون كل فضيلة تُعمل ولا يدعها تهلك وتضيع، ويقود العقل إلى الطريق الوسطى الملوكي ولا يدعه يجنح إلى الطريق الأيمن (التطرف والمغالاة)، ولا إلى الطريق الأيسر (اللامبالاة) ويقول سليمان الحكيم "لا تمل يمنة ولا يسرة. باعد رجلك عن الشر. . . لتنظر عيناك إلى قدامك وأجفانك إلى أمامك مستقيمًا . مهد سبل رجلك فتثبت كل طرقك (أم 4: 24 – 27) .

ولقد حذر الرب قائلًا: احذر أن يكون النور الذي فيك ظلامًا، فبالإفراز يفحص الإنسان سلوكه وأقواله وأعماله، وبالإفراز يفهم الإنسان الأمور ويميز جيدها من رديئا .

ولأحد الآباء قول جميل في البستان :"إن الإنسان الذي يعمل أموره بغير مشورة ولا إفراز يشبه مدينة غير محصنة وكل من أراد دخولها والاستيلاء على كنوزها لا يجد عائقًا عن ذلك "

الإفراز يوصل الإنسان إلى الاعتدال، والاعتدال في الحياة الروحية وفى الممارسات النسكية هو الطريق الوسط الملوكي الهادئ الذي يوصل إلى الهدف بسلام. وتوجد حكمة مشهورة عند الآباء الرهبان يرددونها كثيرًا قائلين "الطريق الوسط خلص كثيرين" أي أن الاعتدال والبعد عن التطرف والمغالاة يوصل كثيرين إلى طريق الخلاص والحياة الأبدية.

لذلك كان المرنم يصلى لله بحرارة أن يهدى خطواته في الطريق المستقيم فلا ينحرف ولا يتطرف يمينًا ولا يسارًا فيقول "عرفني يا رب الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي. علمني يا رب أن أصنع مشيئتك لأنك أنت هو إلهي. روحك القدوس فليهدني إلى الطريق المستقيم" (مز 143: 8–10) .

هكذا ينبغي أن تمارس كل فضيلة في حكمة، بفهم وعقل وإفراز . . ومن غير الحكمة والفهم لا تحسب الفضيلة فضيلة . .

ولهذا كان القديسون يمارسون الفضائل تحت إرشاد آباء عارفين مختبرين لكي يعلموهم الإفراز ويفهموهم كيف تكون الفضيلة . .

ويشرح لنا التاريخ كيف أن الذين سلكوا في الفضيلة بلا معرفة، سقطوا وضاعوا . .

كثيرون سلكوا في الصوم بلا حكمة، فتعبوا جسديا وروحيًا . وكثيرون مارسوا الصمت بغير حكمة، فأوقعوا أنفسهم في مشاكل وأخطاء، ولم يكن الصمت بالنسبة إليهم فضيلة .

والرعاية والخدمة بلا إفراز، قد تعقد الأمور بدلاً من علاجها . ولهذا اشترط الآباء الرسل أن يتصف الشمامسة بالحكمة إلى جوار امتلائهم بالروح القدس (اع6) . .

الحكمة تعطينا المفاهيم السليمة .

كثيرًا ما يأتي إنسان ويسأل قائلًا: لقد سلكت مع الناس بتواضع وتسامح فكانت النتيجة أنني تعبت نفسيًا، وصرت هزأة في وسطهم.

وهنا قد لا يكون العيب في حياة التواضع، وإنما في السلوك في التواضع بغير إفراز وبغير فهم.

ويكون مثل هذا الشخص محتاجًا إلى أن يفهم ما هو المعني الحقيقي للتواضع وكيف يكون؟ وكيف يكون التواضع بحكمة وإفراز، بحيث لا يؤدي إلى مثل هذا التعب النفسي، وبحيث يكون راسخًا في القلب، ولا يؤدي إلى نتائج سيئة.

لأن مثل هذا الشخص قد ينحرف إلى العكس بعد خبرته السيئة، ويكره التواضع ويسلك في عنف وفي تمسك بالكرامة الذاتية.

لاشك أن هناك فضائل كثيرة، إن سلك فيها الإنسان بغير إفراز، تؤدي إلى نتائج غير متوقعة، وربما تنتهي إلى ردة في الحياة الروحية، وإلى

انحراف عكسي، أو إلى عقدة نفسية. . ويكون السبب في كل ذلك هو السلوك فيها بغير إفراز وبغير حكمة أو بتطرف واندفاع.

وذلك فإن كتاب بستان الرهبان، وبعض الكتب الروحية، وبعض المقالات التي تتحدث عن المثاليات، وعن مستويات عليا، تحتاج إلى مشورة في التنفيذ، وإلى إفراز وحكمة.

لا تقرأ عن فضيلة، ربما وصل إليها أحد بعد جهاد عشرات السنين، وتعزم أنت تنفيذها في التو واللحظة، وبدون إفراز وحكمة.

كذلك الحكمة تعطينا المفهوم الحقيقي للحب ،يوجد حب حكيم يفيد صاحبه حتى إن سبب له شيئًا من الألم! ولكنه نافع لروحه وأبديته.

وهناك حباً جاهلاً يضيع صاحبه وأن بدت فيه ملامح من الشفقة والحنو. .

قد تحب شخصا فتؤيده في الحق والباطل وربما تشجعه حتى في الخطأ فتهلك نفسه وتهلك نفسك معه. ويكون حبك حبًا خاطئًا.

وقد تحب إنساناً فتشفق على جسده من التعب ومن الجهاد ومن النسك فتضره وتضيع روحه وعقله ومستقبله! إنه حب جاهل..

وأم قد تحب طفلها فتدلله، فتفسده.. وتحبه في كبره وتود أن يبقى إلى جوارها، فتمنعه عن التكريس وتمنعه عن الرهبنة وعن الكهنوت! ويكون حبها له حبًا أنانيًا ضارًا!!

وشخص يحب قريبه المريض فيخفي عنه خطورة مرضه ولا يعطيه فرصة يستعد فيها لأبديته. انه أيضاً حب غير روحي وغير حكيم.

الحب الحقيقي حكيم وروحي ويهدف إلى خلاص النفس، محبة لا تجامل على حساب الحق، ولا تشترك في خطايا الآخرين.. محبة طاهرة مخلصة كمحبة الله..

تساؤلات هامة

العقل أم القلب

قد يقول قائل { ولكن الرب اهتم بالقلب وليس العقل قائلا "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة "(أم4:23) ،أو (يا ابنى اعطنى قلبك " أم 26:23)} .

لابد من توضيح هذا الأمر ،فالله بالفعل اهتم بالقلب ولكنه لم يلغى العقل ، ربما يريد القلب قبل العقل ، لكنه يريد العقل أيضا ، فهو الذي خلقه في الإنسان ، بل العقل هو الذي يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية كلها ، وهو الذي أعطانا أسفار الحكمة والأمثال بل وأعطانا الكتاب المقدس كله لنفهمه بعقولنا ، وهذا بدوره سيؤثر على قلوبنا فتنمو في الفضيلة والبر ، فالقلب مرتبط بالعقل والعقل مرتبط بالقلب ، وكل منهما ينمى الآخر في طريق الله .

الحكمة أم البساطة

ينصحنا ربنا يسوع المسيح قائلًا "كونوا حكماء كالحيات بسطاء كالحمام" (مت 10: 16) .

أي امزجوا الحكمة بالبساطة فتكون لكم الحكمة البسيطة والبساطة الحكيمة، لا تتطرفوا في الحكمة فتتحول إلى خبث ومكر ولا تتطرفوا في البساطة فتصل إلى البلاهة.

وكما علمنا ويعلمنا المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث عندما كان يقول أنه من الأخطاء الواضحة أن إنسان قد يوصف بالبساطة، ولا تكون له حكمة، بل تكون بساطته لوناً من السذاجة. . وتؤخذ عليه بعض التصرفات. ويحاول الناس أن يعذروه قائلين أنه بسيط. .

ليست البساطة هي السذاجة،وليست هي أخذ الأمور بدون فحص وبدون تفكير ولا تتناقض البساطة مع الحكمة.

الإنسان الروحي يكون بسيطًا وحكيمًا، كما دعانا الرب قائلا كونوا بسطاء وحكماء" (مت 10: 16) ولا تناقض. فالبساطة هي عدم التعقيد، وليست عدم الحكمة.

البساطة المسيحية بساطة حكيمة. والحكمة المسيحية حكمة بسيطة. ومن الجائز أن يقول إنسان كلامًا حكيمًا جدًا، وبأسلوب بسيط. تكون له حكمة في عقله، وبساطة في قلبه. .

يتصرف في عمق الحكمة، وبكل بساطة، حكمة ليس فيها تعقيد الفلاسفة وإنما في بساطة يمكن أن يفهمها الكل.

كذلك ليست البساطة أن تصدق كل شيء بلا تفكير، أو تعطى مجالاً للبعض أن يخدعك أو يلهو بك. إنما مع بساطتك مع الناس تكون مفتوح العينين حاضر الذهن. تستطيع أن تميز الذئاب التي تلبس ثياب الحملان. .

وفى حكمته لا يعيش في جو من الشك والحذر والظنون.

إنه لا يخلط الأوراق، ولكن يرتبها . .

عبارة "المحبة تصدق كل شئ" (1كو 13: 7) يفهمها من جهة الله، ففي محبته لله، . يصدق كل وعوده وكل معجزاته. ويصدق أن التجارب التي يسمح بها للخير. أما من جهة الناس، فإلى جوار "المحبة تصدق كل شيء "يضع قول الرسول "لا تصدقوا كل روح، بل ميزوا الأرواح هل هي من الله. ." (1يو4: 1) وأيضاً "امتحنوا كل شيء، وتمسكوا بالحسن" (اتس 5: 21) .

ببساطة يطيع. ولكن أيضاً يخلط الطاعة بالحكمة.

كما قال الرسول "أطيعوا والديكم في الرب" (أف 6: 1) . وأيضاً "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع 5: 29) .

الشخصية المتكاملة لا تقاد بفضيلة واحدة. بل كل فضيلة يمزجها بالحكمة والمحبة والتواضع.

وقد يقول آخر أن السيد المسيح قال " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال لن تدخلوا ملكوت السموات)" (مت 18 : 3)

معتبرا بذلك أن البساطة في الفهم هي اللازمة لدخول ملكوت السموات ، ولكن المقصود هنا هو أن نكون مثل الأطفال بقلوبنا ونياتنا وليس بأذهاننا ، فبولس الرسول يؤكد هذا قائلا (لا تكونوا أطفالاً في أذهانكم بل كونوا أطفالاً في الشر) ،ويقول أيضاً (لما كنت طفلا كطفل كنت أفكر 00 ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل) ،فالأطفال لا يخاصموا ولا يحقدوا ولا ينتقموا من احد، وإذا تخاصموا يتصالحوا سريعا ، ولا يفكروا في الشر بل في براءة ووداعة يتعاملوا مع الكل ، وهذا هو ما قصده رب المجد حينما قال (إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال لن تدخلوا ملكوت السموات) .

الحكمة أم الإيمان

ربما يقول آخر أن الرب قال (انظروا إلى طيور السماء أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها000فلا تهتموا000 مت 26:6) ولكن واضح أن هذا لا يعنى عدم فهم الأمور وعدم النمو في الحكمة والمعرفة أو عدم استخدام العقل ، فالتسليم لمشيئة الله لا يلغى استخدام العقل وكما يقول الآباء أن (الله يحترم إرادة الإنسان) ،

وهو نفسه الذي قال (احسبوا حساب النفقة) وقال (فتشوا الكتب) وقال لنا أن نحفظ وصاياه لنحيا وكل هذا بالعقل وبالمعرفة وبالفهم ، وفى كل هذا يكون هو معنا ، فان كان هو الذي ينمى إلا أنه يريد أن واحد يزرع وأن آخر يسقى ، وان كانت كل الأشياء بنعمته وبروحه القدوس إلا أنه يريد أن نعمل ما نقدر عليه بحسب ما أعطانا هو إياه.

وهنا قد يقول أحد (بالنعمة نحن مخلصون لا بالمعرفة) ، هذا صحيح ، أننا بالنعمة مخلصون ، ولكن لابد معها من المعرفة ، لأنه كما ذكرنا ، الرب نفسه قال (هلك شعبي بسبب عدم المعرفة) ، فكما أن النعمة تعمل مع الإيمان والأعمال والمحبة ، فهكذا أيضا لا غنى لهم عن المعرفة والفهم .

ما بين الحكمة والذكاء

في هذا المظهر من مظاهر الحكمة الروحية نجد المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث يوضح لنا الفارق بين الحكمة والذكاء فنجده يقول لنا " "الحكمة لها معني أوسع بكثير من الذكاء . وقد يكون الذكاء مجرد

جزء منها . فكل إنسان حكيم يكون ذكيا . ولكن ليس كل ذكي حكيما . . !

فقد يتمتع إنسان بذكاء خارق وعقل ممتاز ومع ذلك لا يكون حكيما في تصرفه فربما توجد عوائق تعطل عقله وذكاءه أثناء التصرف العملي !

فما الحكمة إذن؟ وفي أي شيء تتميز عن الذكاء ؟

الذكاء مصدره العقل. وقد يكون مجرد نشاط فكري سليم أما الحكمة فهي لا تقتصر علي التفكير السليم بل تتبعه بالتصرف الحسن في السلوك العملي. وهي لا تعتمد علي العقل فقط، إنما تستفيد أيضاً من الخبرة والإرشاد ومن معونة الله بالصلاة.

فالحكمة ليست هي مجرد المعرفة السليمة أو الفكر الصائب إنما هي تدخل في صميم الحياة العملية لتعبر عن وجودها بالسلوك الحسن. . فان كان العقل يميزه الفهم والتفكير فان الحكمة يميزها حسن التصرف والتدبير. . حقاً أن الذكاء أو التفكير السليم يجوز اختبارا دقيقا عند التطبيق العملي فان نجح فيه يتحول إلى حكمة.

كيف نقتني الحكمة

الله المصدر الأول للحكمة

أول مصدر هو الله تبارك اسمه الذي يهب الحكمة لمن يشاء وهكذا قد يولد الإنسان حكيما كموهبة له من الله. وتظهر حكمته في مراحل سنه المختلفة. . أنها الحكمة النازلة من فوق.

الله هو مصدر الحكمة كما قال عنه دانيال النبي " لأن له الحكمة والجبروت "(الحكمة 7) .

و سفر الحكمة يقول عن الله " انه هو المرشد إلى الحكمة و مثقف الحكماء (الحكمة 7 : 15) .

ومكتوب عنه في سفر دانيال " يعطي الحكماء حكمة و يعلم العارفين فهما (دا 2 : 21)

وفي أمثال سليمان " الرب يعطي حكمة من فمه المعرفة و الفهم (أم 2: 6) .

وهو المعطى حكمة لكل صاحب فن أو حرفة أو الإنسان .تمام عمله على أحسن وجه "ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا الثياب"(خر3:8) ،(خر2:31–5) . لأنه هو خالق العقل الذي يفكر ويتعقل في الإنسان . وأيضا الله هو المعطى الحكمة في الكلام والخدمة كما قال هو بنفسه " لأني أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو ينقضوها" (لو15:21) .

عندما نبحث عن أسباب كل المتاعب التي تتفاقم بين البشر نجد أن السبب الرئيسي هو زيغان الناس عن الحق وافتقارهم إلى الحكمة وإلى معرفة الله الذي هو مصدر الحكمة" الله هو الحق . . الحقيقة .الحكمة . .الحب . . . العدل" . .

ولأن الله هو مصدر الحكمة نجد سليمان الحكيم في سفر الحكمة يصلي إلى الله قائلاً " فأرسلها من السماوات المقدسة و ابعثها من عرش مجدك

حتى إذا حضرت تجد معي و اعلم ما المرضي لديك ،لِكَي تَقِفَ إلى جانِبي وتَجِدَّ معي وأَعلَمَ ما المَرضِيّ لَدَيكَ. فإنها تَعلَمُ وتَفهَمُ كُلَّ شيءٍ فتَكونُ لي في أَفْعالي مُرشِدًا فَطينًا وبِمَجدِها تَحْميني " (الحكمة 9 : 10 – 11) .

ولأن الله هو مصدر الحكمة الروحية ،لذلك كلما ملء الله قلوبنا ،كلما ملأت الحكمة قلوبنا .و كلما اقتربنا من الله، وارتفعت قلوبنا إلى فوق، يسكب الرب في قلوبنا حكمته التي من فوق.

ولكي يسكن الله كلي الحكمة في قلوبنا وهو قدوس وجب علينا أن نكون أطهاراً وقديسين.

سفر الحكمة يكتب قائلاً " أن الحكمة لا تلج النفس الساعية بالمكر و لا تحل في الجسد المسترق للخطية (الحكمة 1: 4)

وكتب سفر الحكمة أيضاً " الحكمة في كل جيل تحل في النفوس الطاهرة فتنشئ أحباء لله و أنبياء (الحكمة 7 : 27)

والحكيم بن سيراخ يقول " وجهت نفسي إليها و بالطهارة وجدتها (سيراخ 51 : 27) .

وإن كان الله مصدر الحكمة ومن صفاته القداسة فلا يمكننا اقتناء الحكمة دون توبة صادقة وطهارة وقداسة تليق بالله القدوس.

السيد المسيح الله الكلمة هو مصدر ومعطى الحكمة فنجده يقول " لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَماً وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا . " (لو21:15) .

لذلك يمكننا أن ننال الحكمة من السيد المسيح وذلك من خلال الصلاة واللجاجة في الطلب كما أوصانا بنفسه من خلال روح قدسه في رسالة القديس يعقوب " و إنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء و لا يعير فسيعطى له (يع 1 : 5) .

المسيح رأس الكنيسة وأساسها هو الحكمة، من يقتنيه ينعم بالحكمة والفهم، حيث يدرك أسرار الله الفائقة وخطته لخلاصنا .

فعندما نقتني المسيح داخلنا فأنه يحكم كل تطلعاتنا ونظراتنا وسلوكنا، حتى أحلامنا ! نرى كل شيء من خلاله، ونراه متجليًا أمامنا في كل شيء .

في ذلك يقول القديس أكليمندس السكندري " الله هو ينبوع كل حكمة ومعرفة وفهم، والحكماء والفهماء الحقيقيون هم قنوات يفيض خلالها الله بالحكمة على كثيرين " .

كذلك الروح القدس ،روح الله القدوس مكتوب عنه أنه " روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب "(أش2:11) .

من الأية السابقة نستدل على أن الروح القدس متى أعطى إنسان معرفة وحكمة يعطيه أيضا مخافة الرب لئلا تكون المعرفة سبب هلاك وليس خلاص .

الروح القدس هو العامل في جميع الأنبياء والرسل كما يقول القديس بطرس (لأنه لم تأت نبوءة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس 2بط1:21) . لذلك نجد الروح القدس

يُدعي (روح الحكمة والإعلان) فهو معطى الإعلانات للأنبياء والرسل في العهدين القديم والجديد .

ويؤكد ذلك بولس الرسول " فانه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد 0"(1كو8:21) .

ليتنا لا ندع الروح يهرب منا أو ينطفئ فينا بمعنى عدم الرضا بالسكنى داخلنا لأنه هو المسئول عن إرشادنا وحكمتنا" وَأَعْطَيْتَهُمْ رُوحَكَ الصَّالِحَ لِتَعْلِيمِهِمْ " (نح 9 : 20) " ، و أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق (يو 16 : 13) .

وذكر الرسول أن الحكمة هي من مواهب الروح القدس (1كو12: 8) .

إن الذي يسكن فيه روح الله، لابد أن تسكن فيه الحكمة.

القديس أكليمندس السكندري يشرح كيفية اقتناء الحكمة من الله مصدرها قائلاً " لا أريد أن يعتقد أحدكم أن له قدرة الحكم على الأشياء و لكن أشير عليكم عدم السلوك في الشر و الأماكن الخاطئة و أنا أنصح كل من يريد الصلاح لنفسه أن يبحث عن المعلم الحقيقي العالم

بكل شيء و بكل ما في قلوبنا و عقولنا أما الذين لا يرغبون في معرفة الله و صلاحه فلن يعمل فيهم و لكنه يعمل فيمن يريد النجاة لنفسه و يشرق فيه نور المعرفة لذلك ابحث عنه أولاً فإذا لم تجده فلن تتعلم أي شيء و هو يوجد بالبحث الجاد عن محبة حقيقية و نفس لا تشتهى الاقتناء بشراهة و الذين يريدونه بطهارة نفوسهم و يتحملون بصبر لذلك لا يفتكر أحد أنه سيجده بحكمته البشرية "

بالصلاة

إن كان الله هو الحكمة وهو مصدرها ،لذا نحن نكتسبها بالصلاة إليه وطلبها منه .

ولأنه وحده هو مصدر الحكمة الروحية لذا وجب علينا سؤاله في كل أمر بالصلاة مع تسليم القلب و المشيئة حتى يتسنى للروح أن يعمل ويتسنى للإنسان أن يسمع صوت الله .

كثيرًا ما يصرخ رجال الله طالبين الحكمة من السماوي، لأنه من أين تأتي الحكمة وما هو مكان الفهم، سوى من الله السماوي؟

وكما يقول أحد الآباء" إنه يعطي المعرفة لا بكتاب نتعلمه وإنما باستنارة الروح " نحن باستمرار نطلب الإرشاد من الله، نطلب إليه أن ينير عقولنا وقلوبنا، ويلهمنا الحكمة من عنده، ويعرفنا كيف نتصرف. . . ومادامت " الحكمة نازلة من فوق" (يع3) فلنطلبها إذن من فوق.

ولأن الله هو معطى الحكمة أوصانا يعقوب الرسول أن نطلبها منه كما قلنا سابقاً " إن كان أحدكم تعوزه الحكمة فليطلب من الله الذي يعطى الجميع بسخاء ولا يعيّر فسيعطى له يع1:5"

ولاحظ قوله "يعطى الجميع بسخاء" إذن الله يعطى الحكمة للجميع ويعطيها بسخاء ولكن لمن يطلبها ، وبالتأكيد لمن يستخدمها في الخير، أما الذي يكتسب الحكمة العالمية بمجهوده أو فكره أو من أبناء العالم، فحتى وان ظهرت وقتيا وكأنها أتت بثمار إلا أنها لابد وستفشل طالما أنها مخالفة لوصايا الله.

الكنيسة تصلى في تحليل صلاة نصف الليل في الأجبية قائلة (أيها السيد الرب يسوع المسيح ابن الله الحي الأزلي ، أنر عقولنا لنفهم أقوالك المحيية) .

والكاهن في القداس في إحدى صلواته السرية يصلي إلى الله قائلاً " اعطنى هذه الساعة قلباً حكيماً فهيماً . . . لكي أستحق أن أتقرب إلى مذبحك المقدس و أقدم لك هذه القرابين التي نقدمها لك بالروح الصالح الكامل الذي لنعمتك . . "

وبولس الرسول يصلى من أجلنا قائلا " يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته ، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف1:17) .

كذلك يصلي وينصح كنيسة فيلبي قائلاً" من اجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب" (اف5: 17) . ،

وفي رسالته لأهل فيلبي "وهذا أصليه: أن تزداد محبتكم أيضاً، أكثر فأكثر، في المعرفة، وفي كل فهم، حتى تميزوا الأمور المتخالفة، لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح" (في1: 9، 10) .

الصلاة هي جالبة الحكمة وهي أيضاً التي تحافظ عليها وتنميها .

الصلاة هي أن يستشير الإنسان الله كلى الحكمة في كل تصرفاته من خلال الصلاة ورفع القلب لله في كل أمر وفي كل تصرف .

الصلاة الكثيرة والدائمة توفر لنا الوجود في حضرة الله مصدر الحكمة وتجعلنا مستنيرين بحكمته على الدوام.

الصلاة الدائمة تحافظ على الإنسان من الانحراف في أي عقائد خاطئة أو أي تفسيرات خاطئة. كما أنها ترتب الأفكار بأسلوب منسق متكامل بما يفيد الدارس وآخرين أيضا .وتعطى القدرة على الاستيعاب والحفظ والفرح بما نعرفه. وتجعلنا نستخدم ما نعرفه بأفضل طريقة فنأتى بثمار كثيرة وجيدة.

ومن أجل كل فوائد الصلاة السابقة بالنسبة لنوال الحكمة ، كان لابد من وجود فترات خلوة وتأمل تعطى فرصة أكبر لعمل الروح القدس في داخلنا ، وتجعلنا ندخل إلى أعماق الوصية.

وكما يقول أنبا أرسانيوس : " إن كنتَ جاهلاً فتنهّد وصلِّ كثيرًا حتى يرسل الله روحه إليك وهو يرشدك إلى كل شيء "

ليتنا نتدرب في كل صلاة لنا نصلي كما صلى سليمان الملك قائلاً " اعطنى يا الله حكمة ومعرفة "(2 أي 10:1) .

نحن نطلب من الله الحكمة التي بها نخافه ونحفظ وصاياه ،و بها نقتني الفضائل ونحافظ عليها .

نطلب من الله الحكمة للحفاظ على السلام في بيوتنا والحياة في سلام مع الآخرين .

الإنسان الذي يبتغي الحكمة الحقيقية عليه أن يكون في روح صلاة مستمرة قبل وأثناء وبعد أي أمر أو تصرف، وأن يكون أيضاً في روح تسليم مستمرة طوال حياته، تاركًا للرب أن يقول كلمته في أي مرحلة،

ومهما كانت، بالموافقة، أو بالرفض، أو بالتأجيل، في ثقة كاملة أنه أكثر حنانا، وأكثر قدرة، وأكثر علماً وحكمة.

المشورة

الاستماع إلى المشورة المقدسة هو بداية الطريق الإيجابي للحكمة، حيث بروح التواضع يطيع المؤمن، سالكًا في الوصية.

ما أصدق تلك العبارة الجميلة التي تقول " الذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر ".

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول " اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. . . أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم، كأنهم سوف يعطون حسابًا" (عب13: 7 17).

و يقول الحكيم "توجد طريق تظهر للإنسان أنها مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" (أم 14: 12) وقال " كل طرق الإنسان نقية في عيني نفسه والرب وازن الأرواح" (أم 16:2) .وأيضا " على فهمك لا تعتمد ولاتكن حكيما في عيني نفسك"(أم 5:3–7) .

سليمان الحكيم ينصحنا أيضاً قائلاً " مع المتشاورين حكمة " (أم 13: 10) .وكذلك "المساير الحكماء يصير حكيماً " (أم 13 : 20) .

كذلك يقول " طريق الجاهل مستقيم في عينيه أما سامع المشورة فهو حكيم "(أم 12 : 15)

ويتابع قائلاً " اسمع المشورة و اقبل التأديب لكي تكون حكيما في أخرتك " (أم 19 : 20)

والحكيم يشوع بن سيراخ ينصحنا أيضاً قائلاً " من كان حكيما فلازمه " (سيراخ 6 : 35) .

وفي أمثال الحكماء قال أحدهم "نحن ألف رجل, وفينا حكيم واحد, ونحن نستشيره ونطيعه. فكأننا ألف حكيم" .

كثير من الناس تحتار أمام الفكر، وتتساءل هل هذا الفكر أو القرار خطأ أم صواب؟ أو تحتار أمام نتيجته أو وسيلته!

وقد يكون كل من الأمرين خيرًا في ذاته، ولكن أيهما أكثر خيرًا ؟ أو أيهما أكثر مناسبة لهذا الشخص بالذات.

مثال ذلك الذي يقف حائرًا أي الطريقين يختار لتكريس حياته: الرهبنة أم خدمة الكهنوت.

وهذا النوع بلا شك يحتاج إلى حكمة وتمييز أو على الأقل يحتاج إلى مشورة صالحة والى كلمة منفعة تنير الطريق أمامه، وهنا تقتضى الحكمة الاعتماد على الآباء الروحيين وعلى المرشدين والحكماء.

لذلك فالمشورة تقدم وجهات النظر الأخرى وتعطى رؤية من زوايا غير واضحة أو تقدم تبصره بنتائج لم يعمل لها حساب.

غير أن البعض قد تمنعه من المشورة ثقته الزائدة بنفسه وظنه انه على دراية بكل شيء ونتائجه. وقد يكون مبالغاً جداً في زهوه بنفسه!

على من يريد أن ينال الحكمة أن يقتني لنفسه المرشد الصالح الحكيم، الذي يمتص منه الحكمة ،القديس الأنبا أنطونيوس في بدء رهبنته واسترشاده بالنساك، كان كالنحلة التي تمتص عصيرًا من كل زهرة. فقد

كان يأخذ رحيقا من كل زهرة ، ويأتي بالخلاصة ، عسل ذا فوائد كثيرة وطعم جميل .

وهكذا قال الحكماء القدماء " هو ذاك الذي يتعلم من كل واحد " .

أخذ المشورة في كل أمور الحياة أمر ضروري ، وبالأولى أن نسمع لمشورة الوالدين كما ينصحنا سليمان الحكيم قائلاً (اسمع يا ابنى تأديب أبيك ، ولا ترفض شريعة أمك"(أم 8:1) .

ولأهمية المشورة للحكمة وارتباطهما بعضهما ببعض نجد في أغلب دول العالم مجلس الشورى أو المشورة ويسمونه كذلك مجلس الشيوخ أو الحكماء وذلك لأخذ مشورة الشيوخ والحكماء والمتخصصين000 قبل أخذ قرار، خاصة في القرارات المصيرية. كذلك في كنيستنا المقدسة يوجد المجمع المقدس الذي يبحث الأمور الكنسية بمشورة الآباء المطارنة والآباء الأساقفة وبرئاسة قداسة البابا . وهكذا يجب أن تكون هناك المشورة في كل عائلة خاصة مع ظروف الحياة الحاضرة، الرجل يستشير زوجته والزوجة تستشير زوجها والاثنين يأخذا آراء أولادهما وبناتهما

متى شعرا بما فيهم من معرفة وفهم وحكمة وإفراز. وأهم من هذا كله أن الأولاد والبنات يستشيروا الأب والأم في كل أمورهم كما ذكرنا.

واهم مشورة على الإطلاق هي مشورة الروح القدس، فهو العامل في عقولنا وقلوبنا وحواسنا وشعورنا وكل ما فينا، وهو العالم بكل شيء والموجود في كل مكان وزمان، نتضرع إليه دائماً أن يقودنا ويرشدنا إلى معرفة الحق والصواب.

الإنسان الحكيم يعلم جيداً أنه حتى المشورة نفسها تحتاج لحكمة لاختيار من نستشيره، أي الذي يبتغي الحكمة الحقيقية لا يستشير أي إنسان، فقديماً قال الآباء: "لا تكشف نفسك إلا أمام ما يمكنه أن يساعدك لخلاص نفسك".

ولنا في رحبعام بن سليمان الملك خير مثال، الذي ترك مشورة الشيوخ بأن يخفف على شعبه ويعاملهم بحب وتواضع، وانساق إلى مشورة الشبان الذين نصحوه بأن يقسو على الشعب، فتمزقت المملكة،

واستمرت هكذا لمئات السنين. ولنذكر كلمات الحكيم: "المساير الحكماء يصير حكيماً، ورفيق الجهال يضر " (أم13: 20) .

وكذلك أخيتوفل كان مثالاً آخر ، فقد كانت مشورته لإبشالوم ضد إرادة الله أو ضد أحباءه وقديسيه .

ويوناداب الذي أشار مشورة شريرة لأمنون صديقه وكان نتيجة مشورته وتدابيره أن خطت له حتى زنى مع أخته ثامار .

في المشورة يدخل موضوع التلمذة ، فالتلمذة أمر ضروري جداً وخاصة في بداية المعرفة ، وهذا ما عمله السيد المسيح نفسه عندما اختار اثني عشر ثم سبعون ثم خمسمائة وتلمذهم جميعاً على يديه طوال فترة خدمته على الأرض ، ثم نقرأ عن تلاميذ يوحنا المعمدان ، وعن مدارس الأنبياء قديماً ، يشوع تلميذ موسى النبي ، وإليشع تلميذ إيليا النبي ، وكل تلميذ ورسول من رسل المسيح كان له تلاميذ يدعوهم أولاده ، أي أولاده بالروح ، فالتلمذة في حياتنا مع الله أمر ضروري جداً وهام ، أما الذين يرفضونها فبالتأكيد هم مخطئون ، وإذا نظروا

حولهم في أي مجال سيجدوا فيه التلمذة ، فإذا أراد إنسان أن يصير مثلا مهندساً هل يمكنه أن يبدأ هكذا بمفرده أم أنه لابد أولاً أن يلتحق بكلية الهندسة، وإذا تخرج بنجاح يبدأ بعدها في ممارسة المهنة؟ هكذا أيضا من يريد السلوك في الطريق الروحي ونفس الشيء لمن يريد ممارسة أي حرفة أو أي رياضة أو أي هواية ، لابد أولا أن يتتلمذ على يد معلم أو مدرس ، ويفضل أن يكون هذا المعلم هو الأفضل ، أي تتلمذ على يد الأفضل وهذا أمر ضروري فعلاً ويأتي بأفضل نتائج للتلمذة.

والحكيم الذي يعلم أهمية المشورة في اقتنائه للحكمة دائماً ما يبحث عن خبرات الآخرين عن طريق المحاولات الدءوبة للاستفادة من الآخرين باستعداد كبير للتعلّم.

و ينصحنا يشوع بن سيراخ بأن نسافر لنلقىّ الحكمة " الذي لم يختبر يعلم قليلا أما الذي جال فهو كثير الحيلة. في أسفاري رأيت أمورا كثيرة و تعلمت ما يفوق قدرتي علي التعبير. " (سى 34 : 10 , 11) .

والمشورة الجالبة للحكمة يمكن أن تكون بالدراسة أو بحضور وسماع العظات المتنوعة .

الخبرة

قيل على لسان أحد الحكماء " اليوم الذي يمرّ من عمرك دون أن تتعلم فيه شيئًا جديدًا, هو يوم ضائع. سواء كان هذا التعلم بالقراءة أو الملاحظة أو السماع أو التأمل, أو الخبرة أو المعاناة " .

الرجل الحكيم دائماً ما يستفيد من كل الأمور التي تمر به، وإن أخطأ لا يكرر الخطأ، قُيل عن أحد الرهبان الحكماء أنه لا يتذكر إن كان الشيطان أسقطه في خطيئة مرتين.

مثال ذلك إنسان نقل لي كلام وعرفت بعد ذلك بكذبه ،الإنسان الحكيم يستفيد من ذلك ويأخذ حذره ،مكان ذهبت إليه وسبب لي ضرراً ،الحكيم لا يذهب إلى هذا المكان مرة آخري ،شخص ما تعاملت معه وسبب لي عثرة في أي أمر من الأمور ،الحكيم يأخذ درساً وإن لم يستطع عدم التعامل فليس أقل من أن يأخذ حذره .

وفي هذا يقول بولس الرسول " الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير و الشر (عب 5 : 14) .

وأيوب الصديق يقول " عند الشيب حكمة و طول الأيام فهم " (أي 12 : 12) .

المسيحي لو واظب على التعلم من كلمة الله وتطبيقها على سلوكه وأعماله وأقواله وأفكاره فإنها تتحول فيه إلى قوة تمييز في الفكر فيصير له إدراك وإفراز ما هو خير وحكمة فيتجه بسلوكه اتجاه الحكمة التي يبتغيها .

الخبرة التي من خلالها يمكننا أن نقتني الحكمة تعني التعلم حتى من الحيوانات، وهذا ما يدعونا إليها الكتاب المقدس عندما يقول " أَرْبَعَةٌ هِيَ الأَصْغَرُ فِي الأَرْضِ وَلَكِنَّهَا حَكِيمَةٌ جِدّاً: النَّمْلُ طَائِفَةٌ غَيْرُ قَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ يُعِدُّ طَعَامَهُ فِي الصَّيْفِ. الْوَبَارُ طَائِفَةٌ ضَعِيفَةٌ وَلَكِنَّهَا تَضَعُ بُيُوتَهَا فِي الصَّخْرِ. الْجَرَادُ لَيْسَ لَهُ مَلِكٌ وَلَكِنَّهُ يَخْرُجُ كُلُّهُ فِرَقاً فِرَقاً . " (أم 30 : 24 – 27) . وكذلك نسبة الحكمة إلى الحيات " هَا أَنَا

أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسَطِ ذِئَابٍ فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ " (متى 10 : 16) .

كذلك تأتي الخبرة الجالبة للحكمة من قراءة سير الحكماء والناجحين في حياتهم لكي يتأثر القارئ بسيرة هؤلاء وسلوكهم وكيف كانت تصرفاتهم في شتي الظروف والملابسات وكيف كانوا يحلون المشاكل العويصة. وكل ذلك يقدم للقارئ أمثولة طيبة في فهم الحياة وفي حسن التصرف فيعمل علي محاكاتها والسير علي نفس النهج من الحكمة.

كذلك يدرس كيف يحترس من الأخطاء التي وقع فيها الغير. ومعرفة أسباب ذلك السقوط، وكيفية النجاة منه.

الإنسان المختبر يكون أكثر حكمة. وكلما زادت خبرته تعمق علي هذا القدر حكمته، لهذا يتحدث الكثيرون عن 'حكمة الشيوخ' من واقع ما مر عليهم من خبرات في الحياة.

الاستفادة من أخطاء الآخرين

الإنسان الحكيم عندما يرى أخطاء الآخرين ويعرف كم من الضرر أصابهم نتيجة هذه الأخطاء،وعندما يرى نتائج هذه الأخطاء ،يكرر أن لا يقع في مثل هذه الأخطاء الذي وقع فيها الآخرين لكي لا يتضرر مثلهم .

ويمكن أن نتعلم من أخطاء الآخرين عند قراءتنا في الكتاب المقدس أو في سير آبائنا القديسين ،ويمكننا أن نأخذ تدريباً بالامتناع عن كل خطأ نقرأ عنه ونضع أمام أعيننا الضرر الذي وقع على الشخص الذي أخطأ لكي نتفادى الوقوع في مثل هذه الأخطاء .

قراءة الكتب الروحية

قراءة الكتاب المقدس من أهم أسباب اقتناء الحكمة لأنه كلام الله مصدر كل حكمة ولأنه يحكي عن رجال الله الذي وهبهم الله حكمته.

لذلك يقول الحكيم بن سيراخ " ينبوع الحكمة كلمة الله في العلى و مسالكها الوصايا الأزلية (سيراخ 1 : 5) .

كما يقول " تروا في أوامر الرب و في وصاياه تأمل كل حين فهو يثبت قلبك و ينيلك ما تتمناه من الحكمة (سيراخ 6 : 37)

ويقول أيضاً " يا بني إن رغبت في الحكمة فاحفظ الوصايا فيهبها لك الرب (سيراخ 1 : 33) .

كما يقول أيضاً " الذي يتمسك بالشريعة ينال الحكمة (سيراخ 15 : 1) .

وفي العهد الجديد نجد بولس الرسول يخاطب تلميذه الأسقف تيموثاوس قائلاً " و انك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع (2تي 3 : 15)

الإنسان الحكيم لا يعتمد على فكره بل يستفيد من من هم أكثر خبرة ومعرفة ودراية، ويتعلم من كل الأشخاص ومن كل الأشياء .

بجانب الكتاب المقدس يمكننا أن ننال الحكمة من قراءة الكتب الروحية ،فهي تشرح وتفسر لنا الكتاب المقدس وتنقل لنا خبرات القديسين وحكمتهم الروحية .

من معطلات الحكمة أيضاً قلة المعرفة ! لذلك كانت القراءة في المجالات المختلفة لنوال المعرفة .والمعرفة تشمل كل المجالات، مجالات علم النفس لكي تتعلم كيف تتعامل بحكمة مع كل الناس، وكيف تتعامل مع كل فترة نمو بما يناسبها من تعامل .

ومن أمثلة ذلك: ربما يكون رجل ذكياً جداً ومع ذلك هو فاشل في حياته الزوجية إذ لم يكن حكيما في تعامله مع زوجته ! وسبب ذلك هو جهله بنفسية المرأة والمفروض في الزوج الحكيم انه يدرس عقلية المرأة ونفسيتها وظروفها . ولا يتعامل معها كأنها بنفسية رجل ! وبالمثل علي المرأة أن تدرس نفسية الرجل وعقليته، لكي تعرف كيف تتعامل معه بما يناسبه .

ونفس الكلام نقوله في معاملة الأطفال إذ ينبغي أن ندرس نفسية الطفل وعقليته في كل مرحلة حتى نعرف الطريقة الحكيمة للتعامل معه .

التواضع

التواضع يكون أولاً في طلب الحكمة كما طلبها الحكيم في سفر الحكمة "هب لي الحكمة الجالسة إلى عرشك ولا ترذلنى من بين بنيك فإني أنا عبدك وابن أمتك إنسان ضعيف قليل البقاء"(8.4:9)

يظهر عامل التواضع الجالب للحكمة في كلام بولس الرسول عندما يقول " و كلامي و كرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح و القوة (1كو 2 : 4) .

القديس بولس الذي هو بحق فيلسوف المسيحية ،الذي استطاع أن يقنع اليهود والأمم واليونانيين والبرابرة بالإيمان بالمسيحية ،نجده يقول أنه ليس بحكمته أو فكره استطاع أن يفعل هذا بل بحكمة موهوبة له من الروح القدس .

وهذا يعلمنا جميعاً كخدام أو كسائرين في الطريق الروحي أن لا نضع عبارة "أنا عملت، أو أنا سوف أعمل " . بل نقول كما قال معلمنا بولس

الرسول ربنا هو الذي عمل يرفعهم،شكر ربنا أنه استخدمنا كأدوات في عمله .

الله يعمل دائماً وخاصة من خلال الإنسان المتواضع لكي يرفعهم ،ولأنه يعرف أنهم لا يتكبرون بواسطة عمل الله من خلالهم .

التواضع أيضاً يكون في ممارستنا الروحية التي بها نصل إلى الحكمة، فنقرأ الكتاب المقدس بتواضع، ونقرأ الكتب الروحية بتواضع، ونستشير آبائنا بتواضع، وعندما يرى الله التواضع فينا يهبنا حكمته.

ولنا في موسى النبي العظيم قدوة ومثلاً ، أنه لم يكن حكيماً عندما قتل المصري لأنه وان كان قد تهذب بكل حكمة المصريين إلا أنه كان ينقصه أن يكمل ماعنده بالحكمة الإلهية التي يعطيها الروح القدس ، والتي أكملها له بالفعل في بقية حياته ، وقتها لم يكن موسى النبي متواضعاً ربما بسبب ظروفه كابن ابنة فرعون ، ولكن لما أخذ الحكمة الإلهية ظهر تواضعه عندما دعاه الله لإنقاذ شعبه.

وسليمان الحكيم يعلمنا أن الحكمة تأتى للمتواضعين في حياتهم وفى أخذ مشورة الآخرين قائلاً " مع المتواضعين حكمة "(أم2:11) و " مع المتشاورين حكمة "(أم 10:13) ويعقوب الرسول أيضا يعلمنا أن مع الحكمة وداعة قائلا "من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة وحكمة " (يع 13:3) .

وسليمان الحكيم يقول في أمثاله " الرجل الذكي يستر المعرفة و قلب الجاهل ينادي بالحمق (أم 12: 23) .

وكما سبحت حنة أم صموئيل قائلة: "لا تُكثروا الكلام العالي المستعلي. ولتبرح وقاحة مِن أفواهكم. لأن الرب إله عليم. وبه تُوزن الأعمال"(1صم2: 3) .

فبمثل هذه الأفكار يرتفع الإنسان ويتمجد ويتعظم، ويصل إلى المعرفة الحقيقية، وينمو إلى مجد الرب الذي يبتغيه ويبحث عنه، كما يقول الرسول: "اختار الله أدنياء العالم والمُزدرى وغير الموجود لكي لا يفتخر كُل ذي جسد أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة

مِن الله وبراً وقداسة وفداء . حتى كما هو مكتوب مَنْ افتخر فليفتخر بالرب"(1كو1: 28– 31) .

لا يمكننا أن ننسى قول الكتاب المقدس أن " العلم ينفخ " ،فقد يصل الإنسان إلى أعماق المعرفة فيقع في كبرياء أو ينتفخ في داخله أو في نفسه ، لذلك لابد أن يكون مع العلم محبة وتواضع ، فالمحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ (1كو13:4) ،والتواضع الحقيقي يجعل الاستفادة من العلم على أكمل وجه. أما إذا وقع الإنسان في كبرياء وله معرفة، فقد بدأت نهايته ولا شفاء .

لقد كان آريوس والهراطقة أكبر وعاظ ومفسرين للكتاب المقدس وظنوا في أنفسهم أن ليس مثلهم فلم يسمعوا آراء أحد ولم يطيعوا الكنيسة ، فكانت النتيجة أن حرموا من الكنيسة.

وليسأل كل منا نفسه وهل الكرامة والفهم العظيم والرحمة التي نُلتها تُبرِر كبرياؤنا ؟ آدم طُرد مِن الجنة (تك3: 24)، وشاول الملك تركه روح الله

بعد أن كان فيه (1صم16: 14) .وليعلم كل منا أن التواضع هو خير حافظ للحكمة وغيرها من الفضائل، كما انه خير عامل على نموها .

الحكمة الإنسانية دائماً ما تكون خالية من روح التواضع ،والشخص يكون حكيم في عيني نفسه ،شاعراً أنه هو الذي يعمل ،ويعمل أفضل من غيره ،ومثل هذه الحكمة الخالية من التواضع تفقد الإنسان أبديته ،ويتعرض لتخلى عمل النعمة فلا يستطيع أن يعمل ويخسر ما قد عمله الله من خلاله .

مكتوب عن الله " إنا الرب هذا اسمي و مجدي لا أعطيه لآخر (أش 42: 8) .

الله يمجد الإنسان الذي يمجده والذي ينسب كل نجاح إليه ،ربنا يمجد مثل هذا الإنسان ويستخدمه ويعطيه بركات لا تُحصى .عكس ذلك من يأخذ مجد الله وينسبه لنفسه،فإن الله يسحب منه كل شيء .

والقديس باسيليوس الكبير يعظنا ناصحاً جميعنا " إذاً ليقول:قُاوم وأرتفع في نفسي مِن أجل أعمالي وإمكانياتي الصالحة، بدلاً مِن أن أُقِر

بضعفي وأشكر الله وأُعلن عنْ العطايا والنعم التي وهبها لي الله؟ "لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر. لأنه منْ يُميِّزك. وأي شيء لك لم تأخذه. وإن كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ"(1كو4: 7)" .

القديس مار اسحق يربط بين التواضع ونوال الحكمة عندما يقول :

"الذين يصغرون في الجسد تاركون معرفتهم الذاتية هم حكماء في العالم. . . يصيرون بمحض إرادتهم مثل رضعٍ يتعلمون الحكمة التي لا تُقتنى خلال أتعاب الدراسة " .

كما يقول أنبا إشعياء الاسقيطي "كُن جاهلاً بمعرفةٍ لكي تفلت من أحزان كثيرة. لأنّ الذي يُظهِر نفسه أنه حكيم يذّخر لنفسه الأحزان. لا تتباهَ بمعرفتك، لأنه لا أحد يعرف شيئًا أيًا إنسان،لكن أوج الكمال هو ملامة النفس، وجيدٌ أن تكون دون القريب وأن تلتصق بالله "

مظاهر الحكمة

هناك مظاهر كثيرة توضح لنا مقدار الحكمة عند أي إنسان ،وهذه المظاهر أو السمات يوضحها لنا الكتاب المقدس في النقاط الآتية :

1 – مخافة الله.

مخافة الله هي رأس الحكمة "رأس الحكمة مخافة الرب"(مز10:111)،(سي 1 :16)، وهي أيضاً بدايتها " بدء الحكمة مخافة الرب و معرفة القدوس فهم (أم 9 : 10)

،وكمالها "كمال الحكمة مخافة الرب أنها تسكر بثمارها (سيراخ 1 : 20)،وأصلها " أصل الحكمة مخافة الرب و فروعها طول الأيام (سيراخ 1 : 25)،وإكليلها " إكليل الحكمة مخافة الرب أنها تنشئ السلام و الشفاء و العافية (سيراخ 1 : 22) .بل إن مخافة الله هي كل الحكمة "كل الحكمة مخافة الرب و في كل حكمة العمل بالشريعة (سيراخ 19 : 18) .

في سفر أيوب نجد المكتوب "هوذا مخافة الرب هي الحكمة و الحيدان عن الشر هو الفهم (أي 28 : 28)،والحكيم يقول ""المستهزئ يطلب الحكمة ولا يجدها، والمعرفة هينة (سهلة) للفهيم" (أم 14 :6) .

الإنسان الذي يستهزئ بأخيه أو يسخر بخلاص نفسه وخلاص إخوته لا مكان لمخافة الرب في قلبه. قد يطلب الحق والحكمة بلسانه، أما قلبه وفكره فلا يباليان بالإجابة. لهذا لن يكون حكيمًا حتى إن سعى وراء الحكمة، فإنها لن تسكن في قلب غير محب ولا جادٍ، أما الذي يفهم الأمور، ويدرك دوره في الحياة، في جدية فالمعرفة ليست بعيدة عنه، طريقها سهل بالنسبة له.

مخافة الرب شعار الكتاب المقدس كله، لأن بمخافة الرب يبلغ الإنسان إلى الفهم ويتمتع بالمعرفة والحكمة، وبالحكمة يُدرك مخافة الرب ويتلامس معها عمليًا .

يقول القديس أمبروسيوس : "أنه يمكن بناء بيت الحكمة فقط إن تأسس خوف الله بعمق في النفس " .

ويعرف القديس أغسطينوس الحكمة قائلاً : " الحكمة هي الشكر الداخلي للنفس نحو الله، تعبر عنه بالعبادة الروحية له " .

والقديس يوحنا ذهبي الفم يقول في ذلك : " تكريم الله هو الحكمة السامية "

يربط القديس غريغوريوس الكبير بين مخافة الله ونوال الحكمة عندما يقول : " أيها الإنسان ارجع إلى نفسك. افحص أسرار قلبك، إن وجدت أنك تخاف الرب، فواضح بالحقيقة أنك مملوء حكمة. . . هذه التي هي مخوفة في ذاتها بواسطة الملائكة، هذه الحكمة تُدعى فيك "مخافة الرب". فإنك بالحقيقة تقتني الحكمة إذا كنت تخاف الرب "

لذلك قال الكتاب المقدس عن الرجل الجاهل " قال الجاهل في قلبه ليس اله فسدوا و رجسوا بأفعالهم ليس من يعمل صلاحا (مز 14 : 1)

الجاهل لا يضع لمخافة الخطيئة ولا لأبديته وزناً فنجده يخطأ ولا يبالي ،أما الحكيم فيضع الله ومخافته أمام عينيه كما فعل يوسف الصديق

وقال لامرأة سيده " كيف اصنع هذا الشر العظيم و أخطئ إلى الله (تك 39 : 9) .

وسفر الحكمة يضع شرط مخافة الله لنوال الحكمة قائلاً " " إِنَّ الحِكمَةَ لا تَدخُلُ النَّفْسَ الساعِيَةَ إِلى الشَّر ولا تَسكُنُ الجَسَدَ المَدينَ لِلخَطيئَة ، فإن الروح القدوس المؤدّب يهرُبُ من الخداع، ويبتعد عن الأفكار الغبية، وينهزمُ (يترك الإنسان) إذا حضر الإثم.(1 : 4) .

وكذلك نجد المكتوب " من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور و فهيم حتى يعرفها فان طرق الرب مستقيمة و الأبرار يسلكون فيها و أما المنافقون فيعثرون فيها (هو 14: 9) .

يمكننا تعريف الحكيم على أنه هو الرجل المتدين المُلِمُ بكل النواحي الأخلاقية و يتعامل مع الحياة بكل مواقفها . و هو ذاك الذي يحقق الأهداف من خلال وسائل شريفة, و يعرف كيف يحيا سعيداً وفى سلام.

لذلك إرميا النبي يفرق بين الحكمة الإنسانية والحكمة الروحية الإلهية عندما يقول وكما تنبأ أرميا النبي قائلاً: "هكذا قال الرب لا يفتخرن الحكيم بحكمته. ولا يفتخر الجبار بجبروته. ولا يفتخر الغنى بغناه. بل بهذا ليفتخرن المُفتخر بأنه يفهم ويعرفني أنى أنا الرب صانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض. لأني بهذه أُسر يقول الرب" (أر9: 23، 24)

أي إنسان كلما تكون مخافة الله في قلبه وفي تصرفاته وفي كلامه وفي قراراته كلما يكون حكيماً .

2 – قبول وحفظ كلام الله .

السيد المسيح المدخر فيه كنوز الحكمة والعلم ينصحنا قائلاً "كل من يسمع أقوالي هذه و يعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر (مت 7: 24) .

سليمان الحكيم يربط بين الوصية ونوا4:لحكمة قائلاً " يا ابني إن قبلت كلامي و خبأت وصاياي عندك ، حتى تميل أذنك إلى الحكمة و تعطف قلبك على الفهم (أم 2 : 2) ،ويربط أيضاً بين اقتناء الحكمة

والفهم وبين حفظ كلام الله قائلاً : " احفظ وصاياي فتحيا .اقتن الحكمة. اقتن الفهم.لا تنس ولا تعرض عن كلمات فمي"(أم 4 : 4 – 5) .

هذه هي الحكمة الحقيقية إن الإنسان الحكيم يضع أمام عينيه دائماً وصايا الله وتكون واضحة أمامه.

لذلك نجد سفر المزامير يقول عن وصايا الله " ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيماً (مز 119: 7)

داود النبي في مزاميره أيضاً يقول : "وصيتك جعلتني احكم من أعدائي لأنها إلى الدهر هي لي. . . .أكثر من كل معلّميّ تعقلت لأن شهاداتك هي لهجي. . .أكثر من الشيوخ فطنت لأني حفظت وصاياك. .ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي. من وصاياك أتفطن "(مز 119) .

من يتعلم من الله ووصاياه تصير له حكمة الشيوخ بل أكثر. . فوصايا الله تحوي في داخلها حكمة، ، ويعطيه الله حكمة في كل تصرفاته.

من أجل ذلك يكاد لا يخلو نبي أو قديس من فضيلة الحكمة، وذلك لقربهم من الله مصدر الحكمة، وذلك من خلال الصلاة أو قراءة وحفظ وصاياه الممتلئة من كل حكمة ومعرفة.

كما أن أسفار الكتاب المقدس ممتلئة حكمة ،كذلك كُتبت من قبل أناس حكمهم الله ، وإن كانت كل أسفار الكتاب المقدس ممتلئة بالحكمة ،لكننا نجد أسفاراً كثيرة تخصصت في الحكمة مثل سفر الحكمة والأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد وأيوب والمزامير وغيرهم أيضا ، وما زالت هذه الأسفار تفيد الكنيسة والممالك والأمم والخدام بل وكل إنسان وتعلمنا جميعاً معنى الحكمة الحقيقية وكيف نقتنيها .بل يوجد أناس أخذوا مثلاً سفر "الأمثال" لسليمان الحكيم ، كقائد ومرشد في كل حياتهم يقرئونه باستمرار.

في كل أسفار الكتاب المقدس نجد الكثير جداً مما يفيدنا في كل أمور حياتنا، في علاقاتنا بالله وبالناس وبأنفسنا، في عملنا، في تصرفاتنا، في أكلنا وشربنا، في صلواتنا،... في كل شيء يتعلق بنا على الأرض وفى الأبدية .

3 – التدقيق.

بولس الرسول يربط بين التدقيق والحكمة عندما يقول :"انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء (أف 5 : 15) .

التدقيق علامة من علامات الحكمة عند الإنسان ،ولكن يوجد إنسان يترك الأمور تسير كيفما يتوافق بدون نظام أو ترتيب ويقول عن نفسه أو يقولون عليه أنه يسير بالبركة ،ليست هذه هي البركة ،فالبركة لا تعني عدم النظام لأن إلهنا إله نظام وترتيب .

الإنسان الحكيم يسلك بتدقيق في كل شيء ،وفي كل أمر ،في كل كبيرة وفي كل صغيرة ،كذلك في كل تصرف،وفي كل معاملاته مع الآخرين .

الإنسان الحكيم يلزمه أن يضع أمامه ردود الفعل لكل ما ينوى عمله، فقبل أن ينطق بكلمة يعمل حساب وقعها على من يسمعها، وفي كل تصرف له يحسب ردود فعله عند الآخرين: كيف سيفهمونه؟ وماذا يكون موقفهم إزاءه؟

إن التصرفات العشوائية لا تليق بالحكماء بل كل ما يفعلونه إنما يحسبون حساب نتائجه قبل أن يفعلوه.

والإنسان الحكيم لا ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة بل تكون له النظرة الشاملة التي تحيط بكل الزوايا . كما انه ينظر أيضاً إلى قدام بشيء من بعد نظر.

التدقيق والحرص لازمان جداً مع الحكمة وخاصة عندما تكون الأمور حساسة أو مصيرية. . فقد يتصرف الإنسان بجهل تصرفاً يندم عليه كل أيام حياته. . وربما يرتكب غلطة تكون غلطة العمر كله ويندم بسببها أو يبكى طول حياته، دون أن ينفعه الندم أو البكاء ! كل ذلك لأنه لم يتصرف بحكمة وحرص.

وأحياناً يتحمس شخص لتصرف معين حماساً يملك كل عواطفه بينما هذا الحماس لا يكون في صالحه وقد يندم عليه وقد يقول بعد فوات الفرصة: ليتني ما فعلت، ليتني تباطأت واسترشدت. . .

الإنسان الحكيم بالحكمة يعرف متى يتكلم؟ وكيف؟ وإذا تكلم ماذا يكون قدر كلامه؟ وبأي أسلوب يتحدث؟ وهكذا يتكلم بميزان وبروية وحكمة وبفائدة ولا يندم على كلمة يقولها بل يمتدح الناس ما يقول.

قد يكون الإنسان ذكيا يفكر أفكارًا سليمة ولكن تنقصه الدقة في التعبير لنقص معلوماته عن المدلول الدقيق لكل لفظة. فيخطئ حينما يعبر عن قصده. أما الإنسان الحكيم، فانه يقول بدقة ما يقصده. وأيضاً يقصد كل ما يقوله.

الإنسان الحكيم يكون دقيقاً في مواعيده ،فلا يخلف أو يتأخر عن ميعاد خاص به مهما كانت الأعذار .إلا إذا كان ذلك لأسباب طارئة خارجة عن إرادة الإنسان .

الإنسان الحكيم إنسان يتصف بالنظام في كل أمور حياته ،في صحوه وفي نومه ،في أكله وفي شربه ،في صلواته وفي قرأته ،في عمله وفي راحته ،حتى حجرته الخاصة تكون مرتبة ومنظمة بكل تدقيق .

ولكن على الإنسان الحكيم أن يحترص لكي لا يتحول تدقيقه لنوع من أنواع الفريسية ،أي لا يكون التدقيق والنظام بمغالاة .

التدقيق غير الفريسية ، البعض يعتبر الإنسان المدقق فريسى أو متزمت ، طبعا إذا كان التدقيق على وصاياه.ور أخرى أكثر أهمية فهو غير نافع وغير صالح للبنيان ، فالفريسيين كانوا يدققون في الصغائر ويتركون الكبائر ، أى يهتمون بأمور بسيطة أو تافهة ويتركون أمور الملكوت والخلاص ، فكانوا يعشرون النعناع والكمون منفذين وصية العشور في اصغر الأشياء وتركوا الرحمة والحق والمحبة والإيمان ، ولكن ماذا يقول لهم الرب (كان يجب أن تفعلوا هذه ولا تتركوا تلك مت **23:23** ، لو**42:11**)، إذن هو يريدنا أن نهتم بالأهم أولاً ثم بعد ذلك نهتم أيضا بالأمور الصغيرة أي نكون مدققين ولكن الأهم فالمهم .

الإنسان الحكيم والمدقق في حياته دائماً ما يضع أمام عينيه كما تكلمنا سابقاً مخافة الله وحفظ وصاياه .

الإنسان الحكيم يكون مدققاً في طاعته للكنيسة وطقسها ،في حضور القداسات ،فالإنسان الحكيم المدقق في حياته الروحية لا يتهاون بقوانين الكنيسة ،عالماً عن الصغائر لابد وأن تؤدي إلى الكبائر ،ولا يتعذر برحمة الله دون عدله ،الإنسان الحكيم لا نراه يتهاون باعترافه قبل التناول ،كذلك لا يتهاون في التأخر عن حضور القداس ، كما لا يتهاون في فترات الصوم قبل التناول أو قانون الصوم الذي يأخذه من أب اعترافه ،عالماً إن الكنيسة وضعت هذه القوانين لفائدة الإنسان وصالحه .

3- التصرف الحسن والوداعة .

كما كتبنا من قبل عما قاله القديس يعقوب نعود ونكرر"من هو حكيم وعالم بينكم فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة"(يع13:3)

الإنسان الحكيم نجده اتجاه أي خطأ من أي شخص اتجاهه، نجده يتصرف بحكمة دون أن ينفعل أو يغضب أو يثور.

الإنسان الذي يغضب ويثور هو بعيد كل البعد عن الحكمة التي من مظاهرها الوداعة والتصرف الحسن.

عكس ذلك الشخص الحكيم نجده يسمع المشكلة بوداعة وتروي، ويبحث المشكلة مع جوانبها المختلفة لكي يجد لها حل.

أن أعمالك وتصرفاتك تظهرك فإن كنت تتصرف بوداعة فأنت حكيم أما غير الوديع فهو غير حكيم. فالحكمة الحقيقية تتسمُ بروح الوداعة وضبط العواطف، والتصرف الحسن الوديع هو إعلان عن الحكمة الإلهية.

الحكمة ليست في المعارف الكثيرة بل نراها في الكلمات الهادئة الوديعة المتزنة والتصرفات الحسنة. والحكيم يتحكم في لسانه ولا ينفعل، ولكن المنفعل غير واثق في نفسه ولا يعرف كيف يوصل المعلومات التي لديه.

التروي وعدم التسرع في اتخاذ القرارات

من معطلات الحكمة أيضاً السرعة في التصرف، ولذلك يتصف الحكماء بالتروي. . فالحكيم لا يندفع في تصرفاته. وإنما يُهدئ اقتناعه الخاص حتى يتبصر بأسلوب أعمق وأوسع.
إن السرعة لا تعطي مجالاً واسعًا للتفكير والبحث والدراسة ومعرفة

الرأي الآخر. كما أنها لا تفسح مجالا للمشورة ولعرض الأمر علي الله في الصلاة.. وربما تحوي السرعة في طياتها لونا من السطحية.. ولذلك كثيرا ما تكون التصرفات السريعة هوجاء طائشة!

إن الحكماء تصرفاتهم متّزنة رزينة قد نالت حظها من التفكير والدراسة والعمق والفحص مهما اتهموهم بالبطء.

هناك علاقة بين الحكمة والهدوء ،فالهدوء يجعل صاحبه حكيماً ،والعكس فالحكمة تجعل صاحبها هادئاً لذلك يقول أحد الحكماء " الرؤوس تكون أكثر حكمة إن كانت هادئة " .

وفي هذا يقول الكتاب المقدس "كلمات الحكماء تُسمع في الهدوء أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال، الحكمة خير من أدوات الحرب" (جا 9 : 17 ، 18) .

السيد المسيح كلي الحكمة جاء لا يصيح ولا يسمع أحد صوته، فإذا به يُحطم صرخات العدو العنيفة، واهبًا إيَّانا ذات روحه لكي نغلب بالحكمة الهادئة.

الإنسان الحكيم هو من يتحقق الأمور قبل اتخاذ القرارات ،كذلك لا يتخذ قراراً بانفعال وتسرع ،ولكنه يبحث وينظر في الأمر ،لكي يرى صحته من خطئه ،ويدرس القرار جيداً قبل إقراره ،ويبحث نتائجه .

معنى ذلك إن الشخص الحكيم شخص يتصف بالتفكير واستخدام العقل ،أما الجاهل عكس ذلك ،فهو بمجرد أن يسمع يحكم ويقرر ،وبعد ذلك غالباً ما يتأكد الإنسان من خطأ ما سمعه ولكن بعد فوات الأوان .

الإنسان الحكيم هو أيضاً من لا يفكر قبل اتخاذ القرار فقط، بل من يستشير الله فاحص القلوب والكلى وذلك من خلال الصلاة.

كثير من الأمور في حياتنا وخاصة عند التفضيل بين أمرين كلاهما جيدين مثل الاختيار ما بين الرهبنة والزواج ،أو اختيار نوع التعليم أو العمل ، مثل هذه الأمور تحتاج إلى حكمة والى تباطؤ ريثما تتضح الأمور، ويفحص الشخص ذاته وريثما يسمع صوت الله في قلبه أو

صوت الله على أفواه مرشديه، يحتاج الأمر إلى حكمة الشخص نفسه، أو حكمة من ينصحه.

قد تكون السرعة طبيعية في بعض الناس وهؤلاء يحتاجون إلى التدريب علي التروي والتفكير وكثيرًا ما يندم الإنسان علي تصرف سريع قد صدر منه فاخطأ فيه أو ظلم فيه غيره.

عدم العناد أو التشبث بالرأي

يقولون في أمثال الحكمة " الجاهل يكون دائمًا أكثر إصرارًا على رأيه من العالم ".

الإنسان غير الحكيم هو من يقول كلمة أو رأى في موضوع وبعد أن يتأكد من خطأ رأيه وعدم صحته نجده وبالرغم من ذلك يتمسك برأيه ،ولكن الإنسان الحكيم هو الذي يعلم كما قال الحكيم أنه "ليس إنسان لا يخطئ " (1مل 8 : 46)،وأنه ليس كبيراً على الخطأ ،كما أنه يعلم انه ليس من العيب بل من الصواب والحكمة أن يعترف بخطئه ،ويعرف يقيناً أن

الاعتراف بالخطأ ليس ضعفاً بل قوة ،فالإنسان القوي الحكيم هو الذي يستطيع أن يعترف بخطئه لكي يصوبه .

الإنسان الحكيم لا يتمسك برأيه ولا يعاند بل يفكر ويستشير ويصلي لأنه يعلم أنه محدود في إمكانياته الفكرية. . .ومحدود في قدراته التنفيذية، ومحدود في معرفة ما هو لصالحه، فالحياة مليئة بالمنعطفات والمتاهات.

ومحدود في معرفة المستقبل والغيب، فقد يختار ما هو صالحًا الآن، ثم يثبت انه غير صالح في المستقبل، مثالا لذلك قد يختار شريكة حياة معينة ويتشبث بها، ولا يعرف ماذا قد يصيبها في المستقبل. . .

لذلك الإنسان الحكيم يعلم أنه من الأفضل أن يعترف بضعفه ومحدوديته، ويتفاهم مع الله طالِبًا منه أن يقود سفينة حياته فهو الأب الحنون وهو القادر على كل شيء، ضابط الكل. . .وهو العالم بمسار حياته .من أجل كل ذلك يسلم الإنسان الحكيم نفسه في ثقة ورضى واقتناع، ليختبر ما هي مشيئة الله الصالحة له!

اختيار الوقت المناسب

قال الكتاب: "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماء وقت" (جا3: 1) .

الإنسان الحكيم يضع الوقت المناسب في اعتباره: في العمل، في الكلام، في الصمت، في الخدمة، في كل شيء . . مثل النباتات التي لا تزرع إلا في موسم معين، في الجو المناسب، حرارة وبرودة ورياحا .

ومن جهة الكلام يقول الكتاب:" للسكوت وقت وللتكلم وقت" (جا3: 7) .

وقيل أيضاً تفاح من ذهب في مصوغ من فضة كلمة مقولة في محلها (ام 25 : 11) .

والإنسان الحكيم لا يتكلم في الوقت الذي يجب فيه الصمت، ولا يصمت في الوقت الذي يجب فيه الكلام . .

الإنسان الحكيم يتخير الوقت المناسب للعتاب، وإلا أتى عتابه بعكس ما يريد . . ينتهز الوقت المناسب الذي يكون فيه غيره مستعداً لسماعه ومستعدا لقبول كلامه .

ولا يطلب من أحد شيئًا في وقت يكون فيه مشغولاً ومتعباً ومتضايقاً . .

أنبا إشعياء الاسقيطي يقول في ذلك"الحكمة ليست هي في الكلام، ولكن الحكمة هي في معرفة الوقت الذي يجب فيه الكلام. اصمت بمعرفةٍ وتكلم بمعرفةٍ. تفكّر قبل أن تتكلم وأجب بما يوافق.

حكمة الكلام

مكتوب عن دانيال النبي" حينئذ أجاب دانيال بحكمة وعقل "(دا 2 : 14) .

يتصف الرجل الحكيم بقلة الكلام والتدقيق فيه ،فإذا ما تكلم فإن كلامه له وقع ووزن و قوة بل و بهجة على نفوس من يسمعونه .

فم الإنسان يحكم عليه، فالجاهل يحكم على نفسه بنفسه خلال الكلمات الخارجة من فمه، والصادرة عن كبرياء قلبه. أما الحكيم فتشهد له كلماته الرقيقة والمملوءة بالحق الذي لا ينفصل عن الحب الذي في قلبه.

الحكيم بطول أناته يواجه الغضب بالجواب اللين فيصرفه، تصدر أحكامه صادقة لأنه بطيء في الكلام، ومسرع في الاستماع.

وفي هذا يقول الأنبا أنطونيوس " يا بُنيَّ، ليكن لسانك تابعاً لعقلك، لأن الكلام بدون تعقُّل هو شوكٌ وحسكٌ.

كما يقول" الرجل الحكيم يعرف طريق سلوكه فلا يبادر بالكلام، بل يتأمل فيما يقول وما يفعل "

ويقول أنبا أرسانيوس : " تأمل في كل ما تعمله: هل هذا يُرضي الله؟ وإذا كنتَ تتحدث مع بعض الرفقاء فاختبر كلامك، فإذا لم يكن كلامك بحسب الله فلا تقُله " .

يعرف كيف يختار أصدقائه

يقول الحكيم في أمثاله "اذهب من قدام رجل جاهل، إذ لا تشعر بشفتيّ معرفة" (أم 14: 7) .

ليهرب الإنسان من حضرة الجاهل الذي لا ينطق بكلمات المعرفة كمن يهرب من عدوه، لأنه يسبب متاعب ويضر من حوله.

يدرك الإنسان المسيحي قيمة كل ثانية من ثواني حياته، فمع محبته لكل البشرية، لا يسمح لنفسه أن يفسد وقته بالصداقة مع الأغبياء الأشرار، الذين يرون في الحياة كأنها لهو لا قيمة لها . وفي تركه لصداقتهم لا يستخف بهم ولا ييأس من خلاصهم، إنما يبذل بالحب كل ما استطاع لأجل بنيانهم، لكن ليس على حساب نفسه.

الإنسان الحكيم يدرك جيداً أن "الصديق الأمين دواء الحياة" (سي 6: 16) .

الحكيم يختار الصدّيق الصادق الذي يعزيه في ضيقاته، ويدبره في مشاكله، ويفرح بنجاحه، ويحزن في بلاياه.

يقول الحكيم بن سيراخ "الصديق الأمين لا يعادله شيء و صلاحه لا موازن له " (سيراخ 6 : 15)

والمثل الدارج يقول " أرني صديقك ،أقول لك من أنت "،وذلك معناه انه يمكن أن تحكم على حكمة أي إنسان من معايير اختياره لأصدقائه .

ما بين حكمة الله والحكمة الإنسانية

الكتاب المقدس يتكلم عن نوع آخر من الحكمة التي ليس مصدرها الله بل الناس ،ويقصد بها الناس الذين يعتمدون على فكرهم المستقل عن الله ،يعتمدوا على قوتهم وعلى ذاتهم ،مثل هذه الحكمة تدخل فيها الكبرياء والعناد .

الاثنان ندعوهما (حكمة) ولكن الأولى حكمة إلهية عميقة الفهم مصحوبة بالفضائل وثمار الروح ،أما الثانية فهي (دنيوية بشرية شيطانية يع3:15) وهذه قاومها الأنبياء ، ويعمل الله على إبادتها (أش 14:29) ، (1كو20،1:19) .

لذا فإننا نطلق على هذه الحكمة " الحكمة البشرية " ، " الحكمة الإنسانية " .

إننا نميز بين حكمة الله ومكر العالم كما قيل " الآخذ الحكماء بمكرهم" (1كو3: 19) .

الحكمة الحقيقية، هي الحكمة النازلة من فوق، كهبة من مواهب الروح القدس وهي تختلف تمامًا عما يدعيه البعض من حكمة بشرية أو عالمية ليست هي من الله.

فبعض الناس عندهم سياسة وكياسة ودبلوماسية، يظنونها حكمة! والبعض عندهم دهاء، أو ذكاء يظنونه حكمة.

وربما يكون هذا كله بعيدًا تمامًا عن الحكمة الحقيقية " النازلة من فوق" .

والقديس بولس الرسول شرح بتفصيل كبير الفرق بين حكمة الله، وحكمة العالم التي تبيد (1كو1: 19) . وقال إن " حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله" (1 كو3: 19) . وسماها " حكمة الناس" (1كو2: 5) وحكمة " حب الجسد" (1كو1: 26) . " وحكمة من

هذا الدهر" (1كو2: 6) . . . وعنها قال " إن الله اختار جهال هذا العالم ليخزي بهم الحكماء" (1كو1: 27) .

وفي مقابل هذا، تكلم عن الحكمة الروحية التي من الله ومن روحه.

فقال " لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر. نتكلم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا" (1كو2: 6، 7) .

حكمة العالم فيها المكر والخبث، وربما من وسائلها الكذب والخداع، ولها كثير من السبل يدخل فيها الشيطان.

حكمة الناس هذه تكون خالية من مخافة الله وحفظ وصاياه ويكون مصدرها الشيطان.

يوجد فارق بين الحكمة الإنسانية، والحكمة المقدسة، الحكمة المقدسة دائماً تبني النفس وتبني الغير، عكس الحكمة الإنسانية التي تهدم نفسها قبل أن تهدم غيرها .

وهكذا سلكت الحية " أحيل جميع الحيوانات البرية" (تك3: 1) حينما خدعت أمنا حواء . . وهكذا سلكت أيضًا إيزابل زوجة الملك الشرير آخاب حينما دبرت له حيلة يمكنه بها أن يستولي ظلمًا على حقل نابوت اليزرعيلى (1مل21: 5 15) .

وبحكمة عالمية أيضًا سلكت أمنا رفقة لكي تحصل لأبنها يعقوب على بركة أبيه.

وكان ذلك بالكذب والخداع حتى أن يعقوب خاف وقال لها " ربما أجلب على نفسي لعنة لا بركة" (تك27: 12) .

ليست كل وسيلة توصلك إلى غرضك هي وسيلة سليمة.

من العجيب أن طرق العالم كثيرًا ما توصل بسرعة. . . ولكنها غير مقبولة أمام الله.

ومن أمثلة الحكمة البشرية غير المقبولة من الله كما قلنا من قبل مشورة أخيتوفل .إنها ذكاء بشري يأتي بنتيجة ولكنه ذكاء شرير، يصلي الأبرار أن ينجيهم الرب منه " 2صم15: 31) .

وبالمثل: المشورة التي قدمها بلعام لبالاق (رؤ2: 14) .

وبالمثل كل خدع الشيطان التي سيضل بها العالم في آخر الزمان وحيله أيضاً في كل زمان.

الحكمة البشرية هذه البعيدة عن مخافة الله يجب أن نهرب منها، وأن نرفض نتائجها مهما بدت في صالحنا .

ومهما قدم لنا الشيطان، أو مهما قدم لنا ذكاؤنا البشري. . . فكرًا يبدو لنا صالحًا، فلنرفضه، إن كانت وسائلة غير سليمة، أو إن كان غير روحي. والكتاب يحذرنا قائلًا " توجد طريق تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم14: 12 ، أم16 25) .

ليس كل ذكاء حكمة، فإذا أثمر الذكاء خيراً جعل صاحبه حكيماً . والأحمق هو الذي يلد ذكاؤه خبثًا وشراً .

عند الأشرار تتحول الحكمة إلى ألوان من الدهاء والمكر والخبث فالأشرار –بكل حكمة أو دهاء– ينجحون في الإيذاء، وفي تدبير المؤامرات، وحبك المشاكل وإلحاق الضرر بالآخرين. .

الحكمة البشرية تكلم عنها الكتاب المقدس قائلاً " " لأَنَّ شَعْبِي أَحْمَقُ. إِيَّايَ لَمْ يَعْرِفُوا . هُمْ بَنُونَ جَاهِلُونَ وَهُمْ غَيْرُ فَاهِمِينَ. هُمْ حُكَمَاءُ فِي عَمَلِ الشَّرِّ وَلِعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَفْهَمُونَ. " (إر 4 : 22)

الحكمة البشرية هي الحكمة الباطلة التي بحسب وجهات نظر بشرية ، يكتسبها البعض بعيدا عن وصايا الله وبعيدا عن اختبار الحياة معه ، حتى وان ظهرت في بادئ الأمر وكأنها تتغلب على الموقف وتسوده ، إلا أنه لابد في الوقت المحدد تظهر الحقيقة وتظهر قدرة الله الفائقة الحكمة.

الحكمة الحقيقية هي في عمل الخير،أما الحكمة البشرية يمكن أن يتخللها الكذب والشر ويأتي بسببها الدمار ، أما الحكمة الإلهية أساسها مخافة الرب (رأس ألحكمه مخافة الرب أم 10:9 ، سيراخ 14:1–18)، ويأتي بها الحياة والصلاح والسلام وكل خير وبنيان ، وقد يعطى الرب هذه الحكمة للصغار أو الأطفال والبسطاء ويخفيها عن الحكماء والفهماء بحسب المقاييس البشرية كما يقول السيد المسيح (أشكرك

أيها الآب لأنك أخفيتها عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال مت25:11) .

القديس يعقوب يكتب عن هذه الحكمة قائلاً " ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية (يع 3: 15)

القديس يعقوب الرسول يوضح في الآية السابقة مصادر الحكمة الإنسانية التي يمكن أن نلخصه في الآتي:

أ. **أرضية:** أي نابعة عن محبة العالم، من يمتلكها لا يرتفع قلبه للسماويات، بل يتعلق قلبه بالأرضيّات. هذه الحكمة الإنسانية يبعثها حب المادة أو حب الكرامة أو محبة مديح الناس.

ب. **نفسانية:** أي صادرة عن الذات البشريّة، يركز فيها الإنسان حول الأنا فلا يريد أن تختفي ليَظْهَر الرب، بل يُخفي الربَّ ليَظهر هو، فيهتم ليس بما للروح بل بما للجسد .

ج. **شيطانية:** أي باعثها الخفي هو الشيطان. فإذ سقط بالكبرياء لا يكفّ عن أن يبث الكبرياء في البشر تحت ستار الحكمة واللباقة.

حكمة الناس تختلف تماماً عن حكمة الله التي وصفها القديس يعقوب الرسول قائلاً :

"وأما الحكمة التي من فوق أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثمارًا صالحة عديمة الريب والرياء . وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام" [17– 18] .

كما قلنا سابقاً إن مصدر الحكمة السماوية من فوق نازلة من عرش الله القدوس (حك ٩: ٤، ٩)، يمنحها الله لأولاده المثابرين المتمسكين به. ويميزها القديس يعقوب الآتي :

1. **طاهرة** : أي نقية من كل خطية، بعكس الحكمة البشرية الملوثة بالضعف البشرى والطمع والأغراض الشخصية ،بلا غرض مُلتوٍ، تَهَب صاحبها قلبًا طاهرًا وحياة عفيفة. من يقتني حكمة الله لا يطيق الدنس، بل ينجذب إلى حياة الطهارة متشبهًا بالله.

2. **مسالمة:** أي فيها روح الوداعة والهدوء والسلام، بينما الاتكال على الفكر البشرى المجرد، يعنى العجرفة والكبرياء، ويقود إلى الغضب والانفعال، ثم إلى المخاصمات والمهاترات

بمعنى آخر الحكمة الحقيقية هي الحكمة المملوءة سلامًا، إذ قيل عنها إن كل طرقها سلام، إذ بالحكمة ينجذب الإنسان تجاه الله، ويمتليء قلبه سلامًا ويفيض أيضًا بسلام خارجي مع الغير حتى أنه لا يطيق أن يرى شجارًا أو يسمع صوتًا عاليًا، بل يُنَفِذ على الدوام هذه الوصيّة "فلنعكف إذًا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض" (رو ١٤: ٩).

3. **مترفقة:**

أي أنها طويلة الأناة، طويلة البال، تجعلك تحاور في هدوء وصبر حتى تربح الآخرين وتربح نفسك، دون تسرع أو تطير أو تعسف أو ثورة.

الإنسان الحكيم يترفق بالكل مهما كانت الأخطاء والضعفات، واضعًا نصب عينيه كيف يربح الجميع. هذا الترفق ليس مظهرًا خارجيًا، بل

هو حياة داخليّة، سواء تكلم الإنسان أو صَمَتَ، أدّب أو انتقد . . . في هذا كله يترفق ويتحنن لكن في حزم.

4 . **مذعنة**: أي تجعلك قابلا لتصحيح موقفك، فاتحا صدرك للرأي الآخر مهما بدًا مضايقًا أو مناقضًا لك، فهي تعلمك أن تذعن للحق، والحق هو الله، وكتلميذ للرب تتفاهم في هدوء عارضًا رأيك في وداعة، منتظرًا آراء الآخرين ونقدهم، مستعدا للتنازل عنه حين يبدو لك ضعف الرأي أو خطأه.

5 . **مملوءة رحمة وأثمارا صالحة**: أي أنها حانية رقيقة غير متكبرة على الآخرين، بل تحس بأحاسيسهم، وتحترم مشاعرهم، وتحنو عليهم حتى في أخطائهم أو ضعفاتهم كي تقودهم إلى فكر المسيح.

يعلن الرسول هنا عن الحكمة الحقيقيّة أنها عمليّة، إذ تدفع إلى الطاعة والخضوع، وبالتالي إلى الرحمة والأثمار الصالحة.

وكما أن الإيمان بدون أعمال ميت، كذلك الحكمة بغير ثمر زائفة، وقد وصفها سفر الحكمة أنها مستعدة لعمل الخير وحب البشريّة (حك ١:

٦) . وقد أعلن ذلك حكمة الله المتجسد، إذ "جال يصنع خيرًا" (أع ١٠: ٣٨) .

ز. عديمة الريب: أي ثابتة غير متزعزعة ولا منقسمة، لها هدف واحد واضح، تكشف الطريق السماوي بوضوح رغم ما فيه من آلام وأتعاب.

الحكمة الحقيقيّة تجعل الإنسان لا يطيق أن ينقسم قلبه بين محبة الله ومحبة العالم، أو يترنح بين الأبديّات والزمنيّات، أو يخلط بين الاتكال على الله والاتكال على ذاته البشريّة، إنما يكون القلب ثابتًا في اتجاهه ومحبته ورجائه.

عديمة الريب بمعنى أنها خالية من التشكك والوسوسة، إذ يكون الإنسان واثقا من فكر الله، وقادرا على تمييز مشيئته "كي يعطيكم اله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانهم" (اف1: 17، 18) .

6. عديمة الرياء:

الحكمة الحقيقية حكمة عديمة الرياء، ليس فيها غش ولا كذب ولا التواء، ولا يظهر الإنسان فيها ما لا يبطن، بل بالحري يكون واضحا ومستقيما ونقيا، أمام الله والناس، في السر والعلانية.

أي لا تحمل في خارجها بخلاف ما في باطنها، بل كما يقول الرسول "إننا في بساطة وإخلاص الله، لا في حكمة جسديّة بل في نعمة الله، تصرفنا في العالم" (٢ كو ١: 12).

حكمة الناس يجب أن نخاف منها ،مادمنا نملك حكمة الله ،لأن حكمة الناس إلى زوال ،وحكمة هذا العالم جهالة عند الله كما قِيل في سفر أيوب البار " الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشورة الماكرين (أي 5 : 13).

يحذرنا سفر الأمثال من أمثال هذه الحكمة الإنسانية قائلاً " لا تكن حكيما في عيني نفسك اتق الرب و ابعد عن الشر (أم 3: 7).

وبنفس المعنى يكتب لنا إشعياء النبي في نبوته " ويل للحكماء في أعين أنفسهم و الفهماء عند ذواتهم (اش 5 : 21).

وفي مجال الحكمة الإنسانية يمكننا أن نتكلم عن الغنوسية ، وهى باختصار الاعتماد على المعرفة بدون خلاص دم المسيح وصلبه وبدون عمل النعمة وشركة الروح القدس ، فالمعرفة بدون كل هذا لا قيمة لها في خلاص الإنسان ، فكثيرون من غير المؤمنين لهم دراسة ومعرفة كبيرة جدا حتى في الكتاب المقدس .

سفر الحكمة يختصر الحكمة البشرية على أنها الابتعاد عن الله ومعرفته " إِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ الَّذِينَ لازَمَهُم جَهْلُ اللهِ هِم مَغْرورونَ طَبعًا بأَنفُسهم فإِنهم لم يَقدِروا أَن يَعرِفوا الكائِنَ مِنَ الخَيراتِ المَنْظورة ولَم يَعرِفوا الصَّانِعَ مِنِ اعتِبارِ. أَعْمالِه . (حك 13 : 1) .

وعن الفرق بين حكمة الله والحكمة الإنسانية نجد القديس باسيليوس الكبير يقول: "لقد أضعت وقتًا وافرًا في الباطل، وقضيت معظم صباي في العمل الفارغ الذي عكفت عليه أتلقّن تعليم حكمة حمّقها الله (1 كو 1: 20) إلى أن آتي يوم، وكأنّي أفقت فيه من سبات عميق، فنظرت إلى نور الحقيقة الساطع في الإنجيل ورأيت بطلان حكمة عظماء هذا

الدهر، الآيلين إلى الزوال (1 كو 2: 6) . ومن ثم بكيتُ حياتي التعسة "

الحكمة البشرية جعلت الناس يضعون الله تحت المجهر هو وصفاته وتعاليمه ! . و جعلت البعض يقبلون من الإنجيل ومن قوانين الكنيسة ما يرونه بأفكارهم صحيحًا، ويرفضون ما لا يتفق ومنطقهم العقلي . .

خاتمة

لا يتبقى لنا إلا أن نقول أن " الفاهمون يضيئون كضياء الجلد" (دا 3:12).

فالحكمة والمعرفة الحقيقة هي طريقنا إلى الملكوت ، ومن المؤكد إننا سننال كمال الحكمة والمعرفة في الملكوت كما يقول بولس الرسول " الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت " (1كو 13 : 12) .

الله يعطينا الحكمة المقدسة حتى نكون حكماء على أنفسنا ،وعلى بيوتنا ،وعلى كل ما نأتمنه من الله ،ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد .آمين .